الحقيقه والميلاد

يوسف الشريف

الحقيقه والميلاد

يوسف الشريف
تدقيق لغوي : محي الدين حسن
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع : 2019/2138

دار فصلة للنشر والتوزيع
٧٧ ش - صلاح الدين عبد الكريم - متفرع
من عثمان محرم - هرم - جيزه
.٢٣٥٦٢٩٣٦٩
fasla,pub@gmail,com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

الحقيقه والميلاد

(مجموعة قصصية)

يوسف الشريف

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

بسم الله الرحمن الرحيم

((قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ))

(يونس ٩٤)

((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى))

(الأنفال ٧١)

هذا الكتاب عمل أدبي وعليه فإن كل الأسماء والأشخاص والأماكن والأحداث من وحى خيال المؤلف أو تم استخدامها في إطار خيالي وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض صدفة

إهداء

إلى أبى وأمي و أختي و جدتي

وإلى معلمي الأستاذ ياسين محمد

وإلى روح الأستاذ و الكاتب العالمي نجيب محفوظ

وإلى روح الأستاذ والكاتب الكبير جمال الغيطانى

مستهل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين الكريم الجواد، خلق الإنسان من نطفة وجعل له السمع والبصر والفؤاد... أنزل الغيث مباركًا فأحيا به البلاد، وأخرج به نبات كل شيء رزقًا للعباد نحمده تبارك وتعالى حمد الطائعين العبَّاد، ونتوكل عليه توكل المخبتين المحبين الزهاد

اللهم أنت ربى لا الله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم

الشيء الذى انتهى كان له بداية... وأي شيء سيبدأ ستكون له نهاية

ممكن أن تكون البداية بين المخاض والألم وميلاد حياة جديدة أو بين تهامس وتلامس وميلاد قصة حب جديدة أو ميلاد قصة خيالية يصدقها البعض وتظل موجودة فيعيش الكل على مجرد وهم

أما النهايات فلا يعلم أحد عنها شيء ربما تكون سعيدة وربما حزينة لا يعلم أحد موعدها ومتى ستأتي ربما اليوم الساعة بعد سنوات

والبدايات والنهايات أشياء لا يعلمها إلا عالم الجهر وما يخفى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي أرض تموت

سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا... وفوق كل ذي علم عليم... على كل شيء هو قدير

وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(١)

غربة وغرابة

١

بعد عشر سنوات قضيتهم بعيداً عن موطني... بعد عشر سنوات قضيتهم بعيداً وحيداً عاشقاً خائفاً.. ساهراً قلقاً... لو تعلمين يا مالكة قلبي، مدى الحيرة التي كنت غارق بها، كنت كثير القلق أخشى على علاقتنا تلك النهايات الحزينة... أحزن و أهرب من خيالي ووجداني عندما أتخيل لحظة فراقنا... وإبتعاد قلوبنا

لو تعلمين يا خاطفة عقلي... كم تسارعت دقات قلبي، وتسابق شهيقي وزفيري...عند سماعي لهذا الصوت الهادئ الدافئ... الصامت المتهادي... الخارق لكل حواسي الواصل لكينونتي النافذ للب الفؤاد مباشرة كأن كل هذه المسافات التي بيننا قد تلاشت ولم تكن...

لا أشعر بغربتي ولا ببعادك عنى... وأشعر بأنفاسك وكأنك على بعد ذراع أو أقل منى ومن نفسى وروحي هل هو مس أم سحر؟ أم مرض لم يعرف العلم له دواء؟!

بعد ساعة أو إثنان من سماع صوتك المرح الأنثوي... تبدء دقات قلبي في الاستقامة... وتهدئ أنفاسي وتتضح الحياة أمامي بضجيجها و صخبها وأتعرف على الماديات من حولي هذه حجرتي وهذا موضع مرقدي هذه غربتي القصية البعيدة عن بلدك وأرضك وروحك...

روحك هي الدار والوطن الذى ما ضللت عنه يوماً أو غفلت وكيف أغفل عن موطني الذى اجتبيته واحببته وجعلته في القلب عالياً

لم أنس هذا اليوم المقدس .. يوم ولدت من جديد.. يوم رأت عيناي عيناك الواسعتان النافذتان.. القاتلتان لقلبي وعقلي تحت أضواء القمر... وكان الليل يعزف أنشودة الصمت... يوم شعرت بقلبي وعقلي وتأكدت من إنسانيتي... يوم تلاشت العقبات من حياتي... وتبددت الصعوبات من طريقي... منذ هذا اليوم وأنا لا أرى في الكون سوانا... ورأيت جمال الدنيا وفنها وفى الحياة حنينها وشغفها.

سأعود بعد عشر سنوات قضيتهم مغترباً غريباً... أعمل ليلاً ونهاراً من أجل تلك اللحظة... أريد رؤيتك بعد عشر سنوات.. أريد أن أرى عيناك ووجهك وأسمع صوتك وأتمتع بجمال وخفة روحك... هل بدلت الايام ملامحك؟ هل بدل الزمن جمالك؟ أم احتفظت بجمالك الباهر الساحر؟!

ها أنا أصل إلى المطار... وبين صراخ بعض الأطفال والعيون المتلهفة المنتظرة والسلامات والترحيبات وتحديق الجالسين وحديث الواقفين وتوديع الأحباب وانتظارهم... أنظر وأبحث أنا في العيون عن عينان لاوجود لمثلهم في وسط هذا الزحام...

لا أشعر بكل ما حولي لا أعلم لماذا أشعر بأن كل شيء بداخلي في حالة تحفز أو انشغال عن ما يحوطني من ضوضاء

أفكاري التي تراودني تتشابك مع أحاسيسي التي تعذبني صرخات مكتومة تستعد للانطلاق أنظر في العيون مرة أخرى عسى أن يهدأ بالي أن أجد سبيلي أن أجد جوابا لأسئلتي التي لا تهدأ وروحي التي تسعى في الأرجاء سعياً عظيماً لا يهدأ أبداً

العرق يتصبب من جبيني مع أن الطقس شديد البرودة.. وقلبي يدق بسرعة، أشعر به كأنه سيقفز خارج ضلوعي من شدة اضطرابه.. أشعر بالبهجة والرهبة يتصارعان في أوصالي كأنى بمنأى عن كل ما حولي من ساكن ومتحرك وزمن يمر وعمر يتدنى من الهوية شيء ما إخترق كينونتي سيطر على مشاعري التي لا أستطيع وصفها عندما عثرت على عيناك تناديني وقلبك يجذبني من وسط هذا الزحام

أول لمسة من يدها منذ فترة ليست بقريبة جعلتني أنسى سنوات الغربة المريرة وسارعت وزادت من خفقي وخوفي أما النظرة الأولى فذهبت بكل ما تبقى من عقل ودم وأشياء تدل على الإنسانية وجعلت النار تتدفق في أحشائي التي التهبت وفى قلبي الذى تعذب وأكتوى بعد أن هوى

ما زلت قادر على التحدث, أقوم بالرد على الترحيبات التي قالتها ولكن في نفس اللحظة أحاول تحديد الإيقاع التي تحدثت به أنظر إلى حيث تلاقت وتشابكت وتداخلت أصواتنا في فراغ ليس له حدود

أصل إلى البيت الذى لم أدخله منذ فترة كنت لا أظن أنها طالت الى هذا الحد

عشر سنوات ومن يدرى ما هو قادم

أشتاق إلى الذكريات التي مضت في هذا البيت ذكريات كثيرة لا تغادر العقل وتظل في الوجدان حية لا تموت هذا فراشي وهذه حجرتي وهذا عالمي من هنا مرت الطفولة وسارت الايام التي كانت تحمل الكثير من الاوقات الصافية السعيدة

أحاول السيطرة على وحدتي وروعي كلما تذكرت أن غداً سنتلاقى... لا تذهب ملامحها من وجداني في سعيي ومنامي ولكنى لا أملك سوى الصبر سأصبر حتى يأتي الغد فنتواجه ونتقابل ونتلامس لدقائق محدودات وبعد ذلك تعود الوحدة فيتجدد العذاب. ويتكرر السؤال

هل يا حبيبتي تشعرين بكل ما أشعر؟

٢

بعد عودتي تقابلنا عدة مرات.. طوفنا بالعالم ذهبنا إلى كل مكان يحمل العشاق الساهرين الهائمين في عالم لا يعلوه سوى كلمة واحدة.... ملئ بالمعاني السامية والأحاسيس الصادقة والأفعال الخجلة ذهبنا إلى كل مكان لنكتب سطور جديدة في قصة حبنا، وأتفقت معها على الذهاب إلى أبيها للاتفاق على باقي خطوات زواجنا. الذى طال انتظاره

ها أنا أجلس مع والدك بعدما فتح لي باب بيتكم، ولا أعلم لماذا تركه مفتوحاً, لا أعلم أي شيء خطفني فجأة مما كنت فيه عندما دخلت من باب البيت جاءت الاسئلة وتجمعت في عقلي أنا الان في المكان الذى كبرتي ولعبتي فيه المكان الذى يحمل كل ذكرياتك تذكرت رائحتك التي غمرت أنفى وسرت في أوصالي

جلست على الكرسي الذى أشار الرجل نحوه قائلاً:

-تفضل يا بنى... كيف حالك

-بخير

تحدثنا في بعض الأخبار والأحداث حتى قال الرجل:

-هل انتهيت من تجهيز الشقة

-نعم... ولكنني جئت لتحديد مكان كتب الكتاب

-هل قمت باختيار قاعة أفراح

-أنا أفضل كتب الكتاب والغاء الفرح توفيراً للتكاليف الباهظة

كان باب البيت ما زال مفتوحاً، فقال الرجل:

-بعد إذنك سأذهب لإغلاق باب الشقة

-لا داعى سأنصرف سريعاً بعد الاتفاق على كل شيء

-في أي شيء كنا نتحدث

-عن قاعة الأفراح

-نعم لابد من اختيار قاعة الفرح

-أنا أريد توفير مصاريف الفرح حتى نقوم بزيارة بيت الله وعمل عمرة

-لا بد من الفرح... من الممكن تأجيل العمرة لبعد الزواج... والعمر أمامكم طويل

كنت أراها وهى تقف خلف الباب، مستمعة إلى الحديث، نظرت في عينيها طويلاً أحاول أن أستمد شيء لا أعلمه كنت أراه في عينيها ربما الأحلام وربما الشجاعة ولكن للمرة الأولى لا أشعر بشيء شعرت بأن عينيها تحمل خوف لا أعلم سببه بدأ الخوف مما هو قادم ومجهول يسيطر على

قطع أفكاري الرجل عندما تدخل قائلاً:

-لا بد من عمل فرح ولو في قاعة متواضعة

-العمرة أفضل من الفرح

-ولكنني أريد الفرح بإبنتي الوحيدة

-ستفرح عندما تراها سعيدة... هل حددت قاعة أفراح؟

-نعم توجد قاعة أفرح في وسط المدينة

قالها الرجل ثم ذكر تكاليفها ، قمت بالرد عليه قائلاً:

-هذا المبلغ يكفينا للجلوس في رحاب بيت الله لأكثر من عشرين يوم

- سأقوم بغلق الباب عسى أن يتسلل فأر

- لا داعى لا داعى

دخلت وهى تحمل صينية ، موضوع عليها كوبين من العصير، وضعتهم على ترابيزة قريبة من الكرسي الذى أجلس عليه لم تنظر نحوى فقط وضعت الصينية و انصرفت, يزداد خوفي مما هو أت ومما هو قادم لماذا لم تنظر نحوى أشعر بأفكاري تشدني شداً حيث الافكار التي كنت اتحاشها واتجنبها دائماً حتى يرتاح عقلي ولكن ها هي الافكار تعود بقوة تحاول السيطرة تدفعني دفعاً إلى طريق لا أعلم شيء عن نهايته ولكنني متأكد من بدايته كانت بداية سعيدة جميلة ليت النهايات كالبدايات سعيدة

يعود الرجل للحديث قائلاً:

- يا بنى منذ كانت ابنتي صغيرة وأنا أحلم باليوم الذى ترتدى فيه فستان الفرح وتراها عيني وهى واقفة بجوار زوجها... هذا هو شعور كل أب

-لا داعى لفرح ندعو فيه الناس حتى يرقصون ويهللون ويأكلون ويشربون

تنهد الرجل ثم قال:

-لحظة سأقوم بغلق باب البيت

-لا داعى سأنصرف بعد قليل... بعد الاتفاق على كل شيء

-يا بنى الرقص والتهليل هذه هي الفرحة

-أي فرحة هذه

-الكل يفرح بهذه الطريقة.. هل فرض الله العمرة على المتزوجين

-لا لم يفرضها... ولكنها خير من الفرح...سنبدأ حياتنا على خير بدل من ان نبدأها بالتهليل والرقص

إشتعل الحديث حتى خرجت من خلف الباب قائلة وهى تحاول إظهار العصبية والانفعال على ملامحها التي إعتدت عليها هادئة:

-لا بد من عمل فرح لي مثل أقاربي وأصدقائي... أنا لست أقل منهم في شيء... أنت لم تقم بشراء سوى شاشة تلفاز واحدة لبيتنا ولم تشتر تكيفات توفيراً للتكاليف إلى متى ستظل هكذا لا بد من شراء تكيفات وشاشات أخرى... كما فعلت بنت خالتي أنا لست أقل منها في شيء ولا أنت أقل من زوجها

كل شيء قد تبدل أصبحت لا أشعر بوجودها... التي تتحدث أمامي ليست حبيبتي التي كنت أعرفها هادئة وصابرة تبدلت... كأنها خلعت القناع التي كانت ترتديه لم تعد هي التي تغربت وسهرت وتعذبت وتألمت بسببها أين ذهب الوجه الرقيق الصافي الذي كنت أراه؟ أين ذهبت العيون الهادئة والابتسامة الخجلة؟!من التي تقف أمامي الأن... يوجد صراع بداخلي شخص يحب وشخص يكره شخص يقبل وشخص يرفض صوت ربما جاء من داخلي وأعماقي أعرض عن هذا الهراء أنهم باعوك بثمن بخس أنهم باعوا حبك بأشياء لا قيمة لها أما أنا فلا أدرى أي شيء أفعل استجيب ام أرفض أشعر بانني أسقط من مكان عالي من فوق برج أو مئذنة عالية تتطاير أعضائي أثناء الهبوط لا أشعر بها أو أي شيء فقدت... هل استيئسوا منى واستيئست منهم أم أنه شيء مقضيا لا رجعة فيه

-سأفكر في الموضوع

قلتها ثم استأذنتهم في الانصراف وبعد دقائق خرجت من البيت متوجهاً إلى الا شيء مواجهاً الليل ظلامه وبرودته هذه ليست حبيبتي التي كنت أراها جميلة إنها خلعت القناع التي كانت ترتديه قد تبدل عقلها ولم أرى جمالها.

ها أنا أسير وحيداً قاطعاً للظلام.. وبداخلي أرتعش من برودة الليل وخوفه.. وحتى الآن لا أعلم، هل أغلقوا الباب أم مازال مفتوحاً؟

(٢)

ثروة وإمرأة عارية

١

وقف الكل يشاهد هذا الرجل العجوز الذى نزل من سيارته ومن حوله وقف مجموعة من الحرس والخدم والحاشية.. يحاولون فتح الطريق له وإبعاد الناس عنه, نظر الرجل إلى العيون الفقيرة التي إتخذها الذباب مسكن له تلك العيون المتلهفة المنتظرة الناظرة لشيء لا وجود له عند هذا الباشا الذى جاء للسكن في هذا الحى

ما من أحد يعلم سبب اختياره لهذا الحى العشوائي المهمل المزدحم الصاخب الجائع الفقير إتهمه البعض بالجنون هل يترك أحد الأحياء الجديدة الفخمة الراقية المتزينة ليأتي بقدمه ليسكن ويعيش في مثل هذا المكان البائس التعيس المليء بالمرض والأمراض

لا بد من أن الزمن نال من عقل العجوز كل منال, ينظر مرة أخرى إلى العيون البعيدة عنه كل البعد يرى حجم التلهف ينظرون إليه تلك النظرة التي تنم عن طمع أو أمل لا حدود له هم طامعون في مثل هذا الغني الذى نزل من سيارته الحديثة الفارهة ويرتدى بدلة أنيقة الذى جاء ليعيش وسطهم كل واحد يريد الحصول والاستحواذ على هذا الغنى سيعمل الكل على رضا الثرى العجوز سيجدون سبيلاً بطريقة أو بأخرى لإرضائه وكسب ماله قبل حبه

الأصوات تعلو بالترحيب... يعرف ويعلم أنهم يظهرون مالا يبطنون.. لا ينسى أنه كان فقيراً في يوم ما.. نعم في زمن ما كان هذا الغنى من الفقراء ولكن في سنوات قليلة أصبح من الأغنياء يقال أن من المخدرات إكتسب ماله ويقول المحنكون إن ثروته من تجارة الأثار, واحد فقط هو من يعلم الحقيقة التي لا يعلمها أحد... واحد فقط

جاء ليسكن في القصر بعدما اشتراه ورممه بعدما أعاد بناءه ورد الحياة إليه من جديد أصبح القصر آية من آيات الجمال... من الصعب أن تشاهد مثل هذا الجمال في أماكن كثيرة.. باب القصر مصنوع بشكل مميز جداً حيث توجد مجموعة من العواميد المصنوعة من الرخام على اليمين واليسار متدرجة في الطول حتى تنتهى بموضع الباب كان سطح القصر يحتوى على العديد

من القباب الصغيرة المستوية في الحجم نقش على الواجهة الخارجية بعض الزخارف الموجودة في بعض المساجد القديمة كل جزء من القصر يدعو للتأمل للجمال والإبداع والفن الراقي الذى لا يقدر بثمن

كان القصر قبل ذلك من الأماكن الأثرية المجهولة التي لم يعرف أحد من هو مؤسسها فأخذه الناس صندوق كبير لإلقاء القمامة ومأوى للقطط والكلاب والحشرات الضالة كان من المستحيل أن تشاهد باب القصر بسبب جبل القمامة الموضوع أمامه لكن من هو المؤسس الحقيقي لهذا القصر؟

لم يتوقع أحد أن هذا المكان يحمل كل هذا الجمال كيف لهذا المكان الخرب الذى تملؤه القمامة ويسكنه الكلاب والقطط أن يحمل كل هذا الإبداع

إندهش أهل الحى بعدما سمعوا وتأكدوا من المبلغ الذى دفعه الرجل لشراء هذا القصر... إنه مبلغ كبير جداً بالنسبة لهؤلاء الفقراء... قال البعض هل يدفع أحد هذا المبلغ الضخم في مثل هذا المكان؟ وقال آخرون إذا امتلكنا ربع هذا المبلغ لهجرنا هذا الحى إلى الأبد.. الكل يتهم العجوز بالجنون... ولكن لماذا؟

يقع القصر بجوار تكية السليمانية يقول البعض إن مؤسس التكية هو مؤسس القصر ولكن الكثيرون اختلفوا على ذلك وقالوا إن التكية ليس لها علاقة بالقصر

التكية مثل القصر قبل تجديده مهملة ومأوى للحشرات والكلاب والقطط الضالة

التكية والقصر وقعوا في أكثر أماكن الحى ضوضاء وصخب كانت هذه المنطقة من الحى مزدحمة بالنهار بسبب وجود المحلات التجارية وباعة الفاكهة والخضروات وبالليل بسبب وجود هذا المقهى الذى يأتي إليه بعض رجال الحى للعب الورق والطاولة وشرب الشاي والقهوة وتدخين النرجيلة

ولكن من أي مكان جاء هذا الرجل الغنى الثرى العجوز؟ من أي مكان سقط علينا وجاء هذا الداهية؟!

٢

خرج بالليل جلس على كرسي من كراسي المقهى... العيون تنظر نحوه ما من أحد يحاول إظهار عدم الاهتمام...ينظر حوله فيرى المحدقين به وقد ازدادوا...

يعرف ويعلم أنهم يريدون أخذ المعلومات منه وأنهم يريدون معرفة كل أخبار الرجل الذى يعمل عنده يحاول أن يتجاهلهم ألا ينظر اليهم ولكن نظراتهم تخترقه تشعره بالمجهول كيف سيبدأ هو أو يبدئون هم الحديث معه.. كيف

لأول مرة يخرج أحد العاملين بالقصر للجلوس على المقهى.. نعم أنها المرة الأولى منذ إن جاء العجوز إلى القصر منذ أعوام ليست بقليلة يخرج أخيراً عامل بالقصر للجلوس على المقهى

يقترب النادل منه وهو ينظر إليه كأنه يتفحصه يسئله هل يطلب شيء, قهوة شاي شيشة.., طلب كوب شاى وشيشة

كل من على المقهى يريد التقرب والحديث مع هذا الرجل الذى خرج من القصر.. هذا الرجل الذى يجلس امامهم ويسحب أنفاس قليلة هادئة من الشيشة ويشرب الشاي في هدوء ما إسمه... ماهي وظيفته داخل القصر... عن أحوال العجوز و عن امواله وكم له من الأولاد لم يحاول أحد الاقتراب منه لم يوجه أحد سؤال له... هم يريدون إجابة واحدة... واحدة فقط يشغلون بها أوقاتهم وعقولهم الفارغة

مع مرور الأيام إزداد جلوس هذا العامل مع رجال الحى على المقهى أصبحوا أصدقاء يتبادلون الحديث والنكات ويلعبون الطاولة معاً

عرفوا أن إسمه الشوبكي وهو المسئول عن نظافة القصر تحدث معهم في بعض الأمور الموجودة داخل القصر... وعن العجوز صاحب القصر

قال إن العجوز يعيش أخر ما يمتلكه من أيام قليلة باقية في عمره يوجد طاقم كامل من الأطباء والممرضات يجلسون بجواره يحاولون إنقاذه من يد عزرائيل

البعض لم يلتفت ولم يعطى اهتماماً لهذا الحديث ولكن عندما سمعوا الشوبكي وهو يتحدث عن تلك الغرفة المغلقة الموجودة داخل القصر إنتبه الكل وأصغى إلى الحديث

يحظر الرجل العمال والخدم دائماً من الاقتراب أو المرور من أمام هذه الغرفة البعيدة عن الغرف الرئيسية للقصر يقول الشوبكي إنه في يوم ما رأى العجوز وهو يدخل الغرفة مختبأ متسلل متوارياً وبعد دقائق خرج الثرى وبيده بعض الأوراق المالية

قال رجل من الجالسين إذنً لابد من أن هذه الغرفة بها كل ما يملك الغنى... وأكد آخر قائلاً حقا فالغنى لم يخرج من القصر منذ جاء إلا مرات معدودات فكيف له أن يدفع أجور العمال

عاد الشوبكي إلى حديثه وهو يشرب من كوب الشاي الموضوع أمامه في تلذذ واستمتاع حاولت الاقتراب من هذه الغرفة وعندما أصبحت على بعد ذراع أو أقل من الباب سمعت أصوات لم استطيع تحديدها ولكن بعد ثواني تأكدت من أن هذه الأصوات هي حديث بين شخصين داخل الغرفة ثم وفجأة سمعت صوت كلاب شرسة خلف باب الغرفة ستقطع من يدخل تقطيعاً ولكنى كنت متأكد من عدم وجود أشخاص أو أي شيء بالداخل فكرت في فتح الباب

ولكن عندما شرعت في تنفيذ ذلك ارتجفت أوصالي ارتجافا وشعرت بجسدي وقد ارتفعت حرارته وتصبب العرق من جبهتي وكأنى راجفاً في فراشي وشعرت بقلبي يكاد يقفز خارج ضلوعي فوليت مدبراً من حيث أتيت

يا له من أمر عجيب إذن ما سر هذه الغرفة.. هل مسكونة, هل الرجل يسخر الجن لخدمته وحمايته.. الكل يريد معرفة ما بداخل الغرفة ويفكر في طريقة لدخولها... ولكن من ذا الذى يستطيع دخول الغرفة

إنتشر خبر هذه الغرفة في الحى وأصبح حديث الرجال على المقهى والنساء في بيوتهن... لا يوجد أمر آخر يفكرون فيه سوى أمر هذه الغرفة... من يستطيع دخول القصر والوصول إلى هذه الغرفة فقد فاز فوزاً عظيماً وأنتصر انتصاراً مبيناً ولكن من يستطيع الاقتراب والدخول إلى الغرفة؟ من يستطيع حل هذا اللغز؟!من

٣

وقفت السيارة أمام القصر... نظر الجالسون على المقهى والواقفون والسائرون في الشارع إلى تلك السيارة الفاخرة الفارهة الحديثة جداً التي لم يرى شخص في هذا الحى مثلها من قبل ولكن ما هذا؟

العيون تحدق بقوة والنار تتأجج بصدور كل الرجال والشباب وتحركت الرغبات والشهوات حامية ناشطة جامحة بداخل أهل الحى فالتهبت الافئدة وتحطمت بلذة لم يصلوا إليها جاءوا متجمعون متلهفون محرومون لرؤية هذه المرأة العارية نعم مرأة عارية كما يولد أي ابن أدم لا يوجد شيء فوق

لحمها لا ترتدى شيء نزلت من السيارة الفارهة ودخلت القصر وهى تسير في هدوء وخطوات متمهلة دغدغت بها أعصاب الواقفين وعصفت بأفكارهم أفكار جعلتهم يفتحون افواههم في دهشة ويطيرون بعقولهم في بهجة في عالم آخر لا يوجد فيه سوى المرأة العارية التي جاءت ومعها شاب لم يتعدى الخامسة والعشرون بعد

لا يوجد حديث سوى عن هذه المرأة العارية التي هبطت على الحى رجاله ونساءه من أين جاءت ومن هذا الشاب الذى يسير بجوارها لا هذا حديث غير هام ولا يوجد فيه نفعاً ولذة أو ما يفيد المهم أنها امامنا كما هي

تساءلوا عن أي شيء يجعلها تسير هكذا بدون ملابس تحدثوا عن كل شيء في جسدها عن لون بشرتها الخمري المشوب بحمرة عن صدرها العامر الناهد واستدارة فخذها وثنيات لحمها الناعم الرقيق عن انبساط بطنها المشدودة المفرودة عن استرسال شعرها عن ترجرج مواضع فتنتها أثناء سيرها تحدثوا عن كل شيء عن مكامنها التي لم تعد ملكها... قال رجل والعاب يسيل من فيه ونار الشهوة الجامحة تنطلق من عينيه لو كانت ملكي لفعلت بها الأفاعيل وقال آخر مثلها يجب أن يوضع في متحف وقال أحد الجالسين على المقهى لا بد من أن أناس هذا المكان الذى جاءت منه العارية كلهم عراه فرد رجل نحن نريد الذهاب إلى مدينة العراه ولكن أين هي وقال آخر.. إذن يجب أن نكون جميعاً عراه هكذا خلقنا الله... الله

٤

قال الشوبكي بعدما جلس على المقهى ومن حوله إلتف رجال الحى... إن هذا الشاب هو ابن الرجل العجوز و أن العارية زوجته وأن الشاب كان يعيش بالخارج منذ طفولته.... وإنه جاء لاستلام ورثه بعدما علم بموت أبيه... ولكن من الذى أخبر الشاب بموت أبيه ولو كان ذلك فلماذا لم يسئل عليه أيام مرضه؟

قال الشوبكي أن العارية تظل ترقص طوال الليل كما هي وكلما رأت شخص من الخدم ينظر إليها يزداد نشاطها وتزداد مرونة لحمها.. وتحاول إظهار كل ما لديها وكأنها تنادينا لشيء فريا بغيا حتى جعلت كل الخدم ينظرون إليها وهى ترقص يومياً

سئل جالس وأين زوجها كنت أظنه نائما حتى جاء هذا اليوم... كنت أقف بعيداً لأشاهد العارية وهى ترقص وتتمايل وتنثني وتفرد وفجاءة شعرت

بمثانتي وقد امتلأت لعنت الامراض و مرض السكر ولكن وأنا في طريقي إلى الحمام رأيت الشاب وهو يتسلل إلى هذه الغرفة الغامضة وقفت بعيداً أحاول مشاهدة ما يحدث وما سوف يحدث

بعد دقائق رأيته وهو يخرج ومعه بعض السبائك الذهبية حاولت بعدها دخول الغرفة ولكن عندما اقتربت سمعت صوت الكلاب الشرسة وبعض الأصوات الغريبة ولكنني تجرأت فمسكت بمقبض الباب بسرعة لأدفعه ولكن عندما لمس أحد أصابع يدى الباب شعرت بقشعريرة وكهرباء شديدة تسرى في جسدي وشعرت بشيء يقبض على عنقي ويخنقني وشعرت بروحي على حافة الخروج من جسدي فجريت مبتعداً

وبعد ذلك حاولت مراقبة الشاب يومياً وهو يدخل الغرفة وبعد دقائق يخرج منها ومعه بعض الأموال أو الذهب

لم يلتفت أحد إلى الحديث أو الإصغاء إلى الشوبكي إلا عندما قال أحد الجالسين وهل ترقص زوجته عارية يوميا؟ نعم

وقف رجال الحى أمام القصر يحاولون مشاهدة العارية وهى ترقص من خلف الشبابيك الكبيرة المفتوحة على العالم الخارجي... يوميا يتجمعون ويقفون نفس هذه الوقفة ليشاهدوا العارية وهى تتمايل وتتراقص على النغمات والموسيقى في لذة ونشوة واستمتاع ليس له نهاية ولا حدود له حتى جاء هذا اليوم

٥

وقف الرجال والشباب أمام القصر لمشاهدة العارية ولكنها لم تظهر قال شاب إنه الارهاق و قال آخر لا يوجد ضوء أو حركة داخل القصر ولكن الرجال لم ينتظروا أكثر من ذلك استغلوا عدم وجود أفراد الامن على البوابة فاقتحموا القصر ودخلوا وفتشوا في كل الغرف ولاكن لا وجود لشخص داخل القصر...

ما هذا؟ يصيح أحد الرجال في رعب يذهبون إليه

يحدقون ينظرون لا يصدقون ما تراه اعينهم جثث مقتولة موضوعة في غرفة من غرف القصر الجثث مرصوصة متجاورة متلاصقة بجوار بعضها جثث العاملين بالقصر ينظرون في وجوه الأموات الذين وضعوا على الأرض لا وجود للمرأة العارية والشاب

قال شاب فلنفتش عن الغرفة التي بها الكنز يفتشون بهمة ونشاط في كل أرجاء القصر صعدوا إلى الدور الثاني من القصر دخلوا كل الغرف والحمامات والمطبخ حتى غرف الغسيل و الخادمين دخلوها لا وجود لأى شيء في القصر سوى هذه الجثث أين تلك الغرفة المسكونة المليئة بالأموال والمجوهرات ولا يستطيع أحد دخولها بسبب اللعنة التي تحل بها أين هذه الغرفة التي حكى عنها الشوبكي

الرجال دخلوا كل الغرف وما من غرفة مغلقة أين هذه الغرفة التي كانت تحمل أموال العجوز قال رجل من الواقفون من الممكن أن يكون الجن الذى كان يستخدمه صاحب القصر لحماية الغرفة قد خرج وقتل كل من في القصر

ينظرون مرة أخرى في الجثث لا وجود لجثة الشوبكي بين الجثث لعله نجا بنفسه من هذه المذبحة ولكن من الذى قتل كل هؤلاء هل هو الجن حقاً كما قال الرجل لا يوجد عقل قادر على استيعاب ما حدث أو قادر على التفكير وكيف سيفكرون وهم ماكرون

هل من الممكن أن تكون العارية والشاب هم من قتلوا كل هؤلاء ليست ببعيدة

هل الشاب جعل الشوبكي يوهم الرجال بأن الغرفة التي تحمل أموال العجوز مسكونة وبها كلاب شرسة ستفتك بمن يفكر فدخولها...ممكن

هل يكون الشاب خدع الرجال وأهل الحى بهذه العارية للاستيلاء على كل أموال العجوز ما من أحد يعلم شيء ولكنهم مكروا مكراً ,وهو مكر مكراً وكانت هذه هي النتيجة والحصاد

بعد شهور عاد القصر مرة أخرى كما كان موضع لإلقاء القمامة ومأوى للقطط والكلاب الغير شرسة الاليفة الهادئة وبجواره التكية في موضعها وعلى حالها وكأن شيء لم يكن

ولكن ما زالت صورة العارية في

أذهان الجميع حقاً يا له من حي فقير وتعيس يعيش بداخله مجموعة من الجهلة والمحرومين...و بعد ذلك لم يفكر أحد و لم يعلم أحد أين ذهبت المرأة العارية وثروة الرجل العجوز؟!

(٣)

خواء

ذهب مع الذين ذهبوا.. ذهب بعدما شعر بالفشل و الانكسار والإحباط.. ذهب بعدما أصبح على مشارف العقد الرابع من عمره، بدون زواج أو عمل مستقر.

ذهبت بعدما رأت أصدقائها وأقاربها اللواتي تزوجن في أعمار مبكرة، يحملن ابنائهن ، وهى على مقربة من الثلاثين ولم يتقدم إليها رجل.

ذهبت هي وزوجها بعد مرور عشر سنوات من الزواج بدون إنجاب، قضوها معاً في المستشفيات

ذهبت تدعو ابنها الذى سافر للعمل في أرض بعيدة لا تعلم ولا يعلم مكانها ولا اصحابها

وهناك من ذهب طالباً النجاح والثراء، وهناك من يذهب طالباً الهداية له ولأولاده، وهناك من يطلب الشفاء من مرض، وهناك من ذهب طالباً عودة الحبيب وهناك من ذهب عاشقاً ملبياً.

كل هؤلاء ذهبوا كالعصبة إلى هذا المكان المعزول عن العالم الخالي الفارغ الهادئ القصي البعيد كل البعد عن المدينة بعدما سمعوا عن المعجزات والحكايات، بعدما وصف لهم البعض هذا الطريق، هم لا يوقنون ولا يشعرون يختلفون ولا يتفقون هم بحاجة إلى الهداية.. ولكنهم ساروا بعد أن اختاروا هذا السبيل

***

الازدحام الضوضاء الصخب، تدافع الناس كالسيل الغاضب المندفع.. يدفع بعضهم بعضاً.. يتسابقون يهرولون يتصارعون كأنه يوم الساعة يوم إن يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه كأنه يوم الحشر أو شيء كذلك...على أي حال مشهد يوم عظيم

الأطفال يصرخون من الخوف، الشباب الرجال النساء وكبار السن، الكل يجرى ويهرول بأقصى سرعة لديه يبدو الأمر أشبه بالسباق والصراع في هذه المنطقة

الخالية الخاوية التي لا يوجد بها سوى هذه القبة العالية عن الارض المطعمة بالصدف الأزرق ونحت عليها رسوم دائرية وطولية أما الواجهة فعليها بعض الشبابيك الدائرية والمستطيلة الكبيرة والصغيرة وبها زجاج ملون وبعض النقوش اما تحت القبة فكان موضع الباب

كل واحد يريد أن يكون أول من يصل إلى باب القبة أو يكون أول من يلمس السياج الذى يحيط بالمقام أن يفوز في المعركة والصراع من يفعل ذلك سيشعر بلذة الانتصار ويفوز فوزاً عظيماً سيحسد عليه لأنه قام بفعل لن يستطيع الأخرون فعله ويكون فالحاً رابحاً

جاءوا من شتى بقاع الأرض.. من الجنوب والشمال.. من الشرق والغرب.. أغنياء وفقراء، الكل جاء ليقف ويبوح فيرتاح ويهدأ ويطمئن ويتحقق مسعاه ويصل الى رجاءه الذى جاء من أجله ليقف أمام صاحب المقام المدفون تحت هذه القبة التي تبدو من الخارج ناظرة إلى اللانهاية واللامحدود ناظرة إلى اللا شيء و كل شيء

ولكن الامر من الداخل يبدو غير ذلك الكل جاء لسبب لا يعلمه أحد ، سبب يحتفظ به في نفسه من الذى يعلم سبب مجيئه إلى هنا ؟ من ؟!

لا يوجد مكان تحت القبة وداخلها لموضع قدم ولا في الساحة الخارجية المكان ممتلئ عن آخره من استطاع دخول القبة يشعر بفوز لا يضاهيه فوز وفرحة لا تساوى فرحة لأنه يقترب أكثر أما الذى استطاع لمس السياج المصنوع من الفضة الذى يحيط بالمقام فقد فاز فوزاً مبينا كأنه استطاع لمس شيء لمسه صاحب المقام من قبل ووقف في المكان الذى وقف فيه صاحب المقام من قبل هو لا يعلم شيء عن صاحب المقام ولكنه يحب ذلك ويفعل وكأنه راغباً مسحوباً

وقف الكل حول الضريح في صمت.. في أدب وسكون في خشوع وخضوع.. القلوب مليئة بالرهبة والعقول تحمل من الأسئلة ما تحمل بعضهم يبكى يكتم صراخات حزنه التي لا يعلم أحد سببها من شدة الخشوع سجد البعض وهم يدعون ويفيضون بما داخلهم والبعض يصلى وهو لا يعلم لمن يصلى ولمن يركع ولكنه يصلى حتى يتحقق مسعاه ويصل الى مراده ويتحقق رجائه الرهبة والصمت والدموع ولا شيء آخر داخل القبة وخارجها

البعض يقوم بتقبيل السياج المحيط بالضريح والأغنياء قاموا بوضع القطع الذهبية حول الضريح ويقوم الجزارون في الخارج بذبح العجول والخراف في همة ونشاط كأنهم يقدمون الكرابين وما من أحد يعلم لمن كل ذلك

مع احمرار الشمس صعد رجل عجوز إلى أعلى المئذنة الشاهقة المستقيمة التي تقع بالقرب من القبة في هذا الخلاء المترامي الذى تراست فيه الرؤوس المئذنة نقش عليها بعض الزخارف المتداخلة والكلمات المتشابكة التي لا يستطيع أحد تفسيرها ومعرفة معناها بعدها هب الخلق في نشاط ووقفوا على شكل دائرة كبير يمسك كل منهم بيد الأخر وبدأوا يترنمون في صوت واحد بأناشيد ،لا يعلم أحد معناها أو محتواها ، وما تتضمنه الأهازيج من كلمات غريبة الواقع على الأذان هم لا يعلمون معناها هم فقط يرددون الكلمات خلف الرجل الذى إرتقى ووقف في أعلى المئذنة التي بنيت في الخلاء بجوار القبة يرددون وراء الرجل في حماس ونظام وخشوع وخضوع كما لو كانوا يعلمون معنى الكلمات

الصمت يزداد والرهبة تستعد والدموع تملأ العيون يتنهد البعض في حزن وأسى الكل يتمتم بكلمات غير مسموعة يهمسون همساً فاضت وباحت كل نفس بما تحتوى من أسرار كل نفس تريد وتحلم وتتمنى تحقيق كل ما جاءت من أجله شعروا بالراحة والاطمئنان كأنهم وصلوا الى مبتغاهم ومسعاهم الذى حلموا وحاولوا الوصول له ليت لكل هذا نهاية

قاموا بالطواف حول الضريح مع غروب الشمس وحتى الهزيع الأوسط.. لا بد من الطواف حول الضريح لأكثر من خمسين دقيقة كاملة إذا تعثرت قدمك أثناء الطواف ستدهس دهساً ولن تجد لك معين لن يستطيع أحد انقاذك الكل مشغول بحاله الذى جاء من أجله كل هذه شعائر لا بد منها عند زيارة الضريح حتى تحقق أحلامك وكل ما تريد، فقط إذهب إلى هذا المكان وقم بعمل هذه الشعائر.. قم بالإنشاد والطواف والركوع والسجود لكن لمن ؟ من ؟

٣

الناس صارخين باكين فارين كانه اليوم الموعود المشهود وكأن الراجفة ارتجفت واتبعتها الرادفة فالقلوب واجفة اسودت الوجوه وهم مستسلمون واي شيء يمكن ان يفعلون الأرض تهتز بعنف وبقوة.. الأرض ثائرة مضطربة بشدة، إنه زلزال.. زلزال جعل النفوس تضطرب بشدة وكأنهم وجهوا الحقيقة التي كانوا يخشوها كأنهم رأوُ ويروا ما عملوا وفعلوا

إنه لزلزال عظيم هائل جعل القلوب خائفة خافقة.. تدق بسرعة تكاد القلوب أن تتوقف عن النبض.. كل من هو مصاب بمرض قلبي سقط صريعاً، هلك من شدة الصدمة، لكن لماذا كل هذا الخوف ؟

أي شيء يحدث! القبة تنهار و تنهال تسقط على من بداخلها.. أحجار القبة تتهاوى.. الأرض تستمر في الاهتزاز والاضطراب

يحاول البعض الهروب مما أتاهم فيسرع على باب القبة يحاول أن ينجو بنفسه.. يتصارعون على الخروج كما تصارعوا على الدخول، بعض الأشخاص قاموا بالتشبث بالمقام يطلبون الحماية والاستغاثة ولكن من هذا الذى يستطيع حمايتهم ويؤامنهم من الخوف... من

الرجل الذى كان فوق المئذنة قفز من شباكها وهلك هلاكاً بعدما رأي الكل المئذنة المستقيمة وهى تبدأ في الميل قبل أن تسقط أحجارها مرة واحدة فوق من كانوا بالخارج ليهلكوا ليسقطوا سقطة واحدة...فقط

الأرض تكاد تخرج أثقالها بعد إن قالوا ما لها.. هم لا يعلمون أن ربك أوحى لها ، هم يريدون الأن الفرار من الموت وكيف يطلبون ذلك على أي حال لا فرار من أمرٍ كان مفعولاً مقضياً

أصبحت القبة و الضريح عبارة عن مجموعة من الصخور.. كبيرة الحجم ، جاء الناس يريدون أخذ هذه الصخور للتبرك بها ، والبعض الأخر يبحث عن ما تبقى من عظام الشيخ الصالح صاحب المقام ، ولكن لم يجد أحد شيء سوى هذه الصخور فقط . أين ذهبت بركة صاحب هذا المقام من كل ما حدث؟ أين؟!

يقول البعض إنه شيخ صالح ويقول آخرين إنه ابن نبي أو نبي أو صاحب كرامات ومن الناس من يقولون إنه دجال يسخر الجن لخدمته و أنه جاء وعاش لزمن طويل في هذا المكان الخالي من البشر والحياة وحيداً بعيداً عن الناس ليسخر الجن لخدمته فيما يطلب ويريد

ما من أحد يعرف حقيقة صاحب المقام ولكن البشر الذين عبدوا البقر وسجدوا للنار وركعوا للثعابين من السهل أن يصدقوا مثل هذه المعجزات الذى تناقلها وحكاها بشر لم يكونوا شيء

من يقول إنه يعبد من خلقه وخلق البقر والثعابين ورفع السماوات وسطح الارض ونصب الجبال وخلق كل شيء يقدس الشهوة يعبد المال يخضع ويركع للسلطة مثله مثل الذى يصلى في كل محراب ركعة وكأنه لا يعي لأى شيء يركع أو يسجد أو يطلب ويحمد كأنه ضل فغوى فأصبح شقياً

قليلون هم من يعبدون الخالق من خلق الإنسان و يعلم ما توسوس به كل نفس, المعين الذى يعين خلقه الإله الذى هو فوق آلهة الأرض والملك فوق ملوك الارض

بعد فترة أكد البعض إنهم رآو أثناء الزلزال نور يصعد من المقام ومن القبة.... إنها روح صاحب المقام ينقذها الله من الزلزال.. ما هذا أي شيء يحدث؟ الأرض تهتز بقوةٍ هل هو زلزال آخر؟ أم إنها النهاية؟!

(٤)

حكايات الرحال

١

السطور التالية هي جزء صغير من مذكرات الرحالة الإيطالي الشهير بارتو لوميو الذى يعد واحد من أعظم الرحالة في التاريخ هذه المذكرات التي تحمل مجموعة من مشاهدات الرحالة نشرت في كتاب لم يعرف أحد تاريخ اصداره وفيما يلى سأذكر بعض المشاهدات التي سجلها الرحالة الشهير

٢

يبدو أن هذا اليوم الذى يشهد الزيارة الرابعة لي لهذه البلد يوم حزين

من الصعب أن تجد مثل هذه البلد في أي مكان آخر داخل هذا العالم كل شيء هنا في هذه البلدة يبدو مميز وعجيب ومن هذه الأشياء وجود العديد من الديانات

من الممكن أن تجد شارع واحد به معابد وكنائس ومساجد ذات مآذن عالية مرتفعة وأماكن عبادة مختلفة وستجد في شارع واحد اليهودي والبوذي وبجوارهم يسير الهندوسي والمجوسي وستجد مسلمين ومسيحين و أيضا ملحدين لا يؤمنون بشيء

يوجد داخل البلدة مجموعة كبيرة جداً من الاثار الفرعونية والاغريقية واليونانية لم يعرف أحد كيف جاءت إلى هنا

مساحة البلاد غير كبيرة بالنسبة لعدد سكانها الذى يزيد عن مائة وعشرون مليون نسمة ولذلك ستجد الشوارع مزدحمة بالليل والنهار بدرجة لا تجعلك تأخذ راحتك في السير

عادات وتقاليد غير مفهومة وغريبة جداً يفعلها أهل البلاد فمثلاً إذا مات شخص بسبب مرض لا يقوموا بدفنه إلا بعد مرور ثلاث اسابيع يعتقدون إن بذلك لم يدفن المرض مع صاحبه الذى مات

ومن التقاليد الغريبة التي يقوم بها أهل البلدة إذا جاء شاب يريد الزواج

من فتاة يطلب أهلها من الشاب إن يجمع عدد معين من الاصداف البحرية النادرة حتى تساوى الأصداف نصف وزن العروسة ولم يعلم أحد الحكمة والسبب في ذلك

وأيضا من العادات أن يقوم أهل المتوفى بفتح القبر بعد مرور عام على وفات الذى ذهب ليطمئنوا عليه ويظلون يترددون عليه كل عام حتى يصبح المنتقل عظام فيقومون بأخذ عظام الميت ووضعها في إناء نحاسي منقوش عليه من الخارج بعض الطلاسم السحرية يؤمنون أن بهذه الطريقة سيخفف العذاب عن الميت وستتلاقى أرواح الأحياء مع أرواح الاموات في عالم آخر

حتى الاكل داخل هذه البلدة غريب من الممكن أن ترى مطعم غاية في الجمال والفخامة وبجانبه عربة يجرها رجل يضع عليها المأكولات رخيصة الثمن

أكثر أهل البلد يعشقون أكل مخ القرود ويضاف إلى الاكلة الكثير من التوابل والشطة ويقال إن هذه الاكلة تزيد من نشاط الشخص

وأيضا يوجد أكلة غريبة مصنوعة من جنين الماعز المشوي لم يعلم أحد فؤاد هذه الاكلة أو كيف يتم خروج الجنين من رحم الماعز

وأيضاً من الاشياء الغريبة وجود صور لملك البلاد في كل شارع وفى كل بناية وفى كل بيت ويوم ميلاد الملك يعتبر عيد قومي للبلاد

لا يذهب الموظفون فيه إلى عملهم وتغلق المدارس أبوابها ويتجمع الشعب في ميدان يقال إنه كان الحى الذى ولد فيه الملك ولكنهم ازالوا كل البنايات التي كانت موجودة وقاموا بعمل مسرح يصعد ممثلي الديانات إليه يوم ميلاد الملك للدعاء إليه على أي حال فإن هذا الملك يستحق كل ذلك وأكثر لأنه قادر على قيادة مثل هذا الشعب

ويوجد أيضا عادات آخرى غريبة يفعلها أهل البلد ولكنني ذكرت أهمها وأكثرها غرابة

لا أعلم سبب حزن أهل البلد اليوم الحزن والكآبة يسيطران على الوجوه والملامح بعض العيون تحمل الكثير من الدموع يسير الكل في صمت لا أعلم سببه أريد أن أعلم ما وراء هذا الحزن الظاهر الواضح على وجوه الجميع

كل واحد داخل البلدة يتحدث بلغة مختلفة الاغلبية يتحدثون بلغة لا يعلمها أحد في العالم لغة من اكتشافهم واختراعهم ولكن المتحدثون بهذه اللغة يتحدثون بلغات آخرى معلومة ومعروفة

أحاول إيقاف شخص لأسئله عن سبب الحزن الظاهر على الوجوه بعضهم لا يقوم بالرد لا يعطى جواباً يكتفى بنظرة قوية في عينيك كأنه يقول لك ماذا جاء بك

البعض الآخر عند سؤاله يرتعش جسده يضطرب اضطرابا كأنه رأي عقرب أو أفعى سامة ثم ينظر إلى أعلى كأنه تذكر شيء ما وتبدئ الدموع تتساقط من عينيه ومنهم من قام بسبي ومحاولة ضربي عند سؤاله ليتني أعلم ما وراء ذلك الحزن الذى يبدو عميقاً مسيطراً على الجميع ليتني أعلم السبب في ذلك

لم أجد حلا سوى أن أقوم بشراء صحيفة اليوم ولكن شراء صحيفة هنا أمر صعب لأنك ستحتاج أن تقرأ كل عناوين الصحف الموضوعة حتى تعثر على صحيفة بلغة تعرفها فكل صحيفة هنا تنشر بلغات كثيرة

مشيت حتى وجدت رجل عجوز طاعن في السن يستند على عصا غليظة و يرتدى نظارة سميكة لا تظهر من عينيه شيء ومعطف طويل يكاد يصل إلى الارض فوق قميص طويل يصل إلى ركبته وبنطلون مرقع

وضعت الصحف أمام العجوز المستند على العصا الغليظة أخذت أبحث عن صحيفة كتبت بلغة اعلمها حتى وجدتها أخذت الصحيفة ثم مددت يدى للرجل بثمنها ولكن الرجل لم يأخذ ثمن الصحيفة كانت مفاجأة فالرجل رفع عينيه نحوى في اشمئزاز واستهانة لا أعلم سببها ثم لوح بيديه في عصبية أي إنصرف من أمامي متأكد من عدم فعلى ما يغضب هذا الكهل هناك أمرٌ ما لا استطيع معرفته وتفسيره ولكنى انصرفت مبتعداً عنه

لم تكن البلد التي زرتها من قبل كأنها تبدلت وتغيرت وقفت تحت شجرة عملاقة لتحميني من إشاعة الشمس التي تبدو حارقة وغاضبة كيومي هذا

فتحت الصحيفة لأقرأ أول العناوين عنوان أخذ الصفحة الأولى بأكملها مكتوب أعلى الصفحة اليوم مات الوطن وتحت الصورة وضعت صورة لعجوز يشبه بائع الصحف كثيراً ولكنه بدون نظارة ويرتدى بدلة إيه في الفخامة وساعة يد باهظة الثمن عندما دققت وأمعنت النظر في الصورة وجدت أن الكهل يجلس

على كرسي متحرك

إذن ما علاقة هذا المعاق العجوز بالوطن الذى مات ؟

إنتقل الى الصفحة الثانية التي وضع فيها صور كثيرة لملك البلاد وهو في طفولته وشبابه وفى وسط الصفحة صورة للملك وهو فوق الأعناق يبدو أنه في مظاهرة أو شيء مثل هذا

بدئت الأمور المستعصية تدخل عقلي وعلمت بما لا كنت عنه أعلم عندما انتقلت إلى الصفحة الثالثة التي كتب في أعلاها عنوان ((الملك لن يموت أبداً)) وكان المقال أسفل العنوان كالآتي:

اليوم مات الملك والزعيم والقائد من كان سبباً في استقلال وطننا ورفعته من حرر وطننا من قيود الاحتلال وقبضة الاستعباد مات الملك بعدما إطمئن على أمته التي أعطى لها الرخاء وقدم لها الاستقرار وانجازات سيقف التاريخ عندها طويلا مات بسم دسه له الخونة وأصحاب الشر من يريدون إيقاف نهضة الوطن هؤلاء الخونة الجبناء سيعذبون أشد تعذيب ولن ينسى الملك أبداً سيظل في القلوب ما ذهب هو جسد الملك فقط ولكن روحه وعقله وقلبه وصورته ستظل في قلوبنا وعقولنا ومرسومة محفوظة في وجدننا ولم يستطيع أحد نزعها مهما دارت عجلة الزمان

لم أكمل قرأه المقال بعدما عرفت ما حدث إذن الملك مات مسموماً

انتقلت إلى صفحة أخرى كانت تحمل بعض الكلمات المليئة بالحماس التي قالها الملك في خطاباته كلمات رقيقة وجميلة مليئة بالحماس تشجع على البناء والتقدم والتطوير وتحث على النجاح والعمل قرأتها في سرعة لانتقل لباقي الصفحات لأقرأ بعض العناوين الهامة

إعلان حالة الحداد لمدة عام كامل وأجازة لكل العاملين بالقطاع العام وبيع الصحف والخضروات والفاكهة والأطعمة مجاناً لمدة ثلاثون يوم

جثة الملك ستوضع في تابوت زجاجي شفاف وستلف الجثة جميع متاحف البلد حتى يلقى الشعب نظرة الوداع النظرة الأخيرة على الراحل وبعض رسائل التعازي التي جاءت من بلدان شتى

في اليوم التالي كنت حريصاً على الذهاب إلى المتحف الذى سيستقبل جثة الراحل لكى أشاهد الموقف من الواقع

حقاً كما ذكرت كثيراً من قبل لا يوجد مثل هذه البلد في أي مكان في عالمنا هذا

المتحف ممتلئ عن آخره الأعداد مهولة ودخول المتحف يبدو مستحيلاً الناس يتدافعون ويتضاربون والنساء يولولن باكيات في صياح ونواح وتشنج يبدو الأمر مزعج للغاية الكل يحمل الزهور ونباتات آخرى مثل الريحان والصبار ونباتات لا أعلمها لها رائحة نفاذة وتبدو غريبة الشكل

بعد فشلي في رؤية التابوت رجعت إلى الفندق وأنا مندهش ومستغرب ومتحير مما رأيته وشاهدته من حزن وشعور بالضياع

لم أخرج إلا في مرات قليلة لزيارة بعض الأماكن السياحية فوجئت بأن تذاكر الاماكن السياحية أيضاً بالمجان وأن بعض المسارح ستقوم بعمل عروض مسرحية تحكى عن قصة حياة الراحل سيقوم بتقديمها أفضل وأشهر الفنانين والفنانات في البلد

بكل تأكيد كنت حريصاً جداً على الذهاب إلى هذه المسرحية لأتعرف أكثر على حياة هذا الملك وبالطبع كانت التذاكر مجانية

كان المسرح مزدحماً عن آخره الكل يجلس في صمت ممنوع دخول الأطفال الذين تقل اعمارهم عن العشر سنوات حرصاً على الهدوء وبعد دقائق إفتتح الستار وبدأت المسرحية

دخل شاب عشريني ومن بعده دخل مجموعة من الشباب وقفوا حول مائدة مستطيلة طويلة ولم يجلس أحد إلا عندما أذن لهم الشاب بالجلوس تنطفئ أضواء المسرح ويتسلط الضوء على المائدة التي إلتف حولها الممثلون

يبدأ الشاب في الحديث بكلمات تبدو كبيرة على شاب في عمره كلمات تملئ المشاعر والصدور بالحماس والشجاعة كلمات تدل على أهمية الحرية والخروج من الاستعباد والاستبداد والقيام بثورة تقضى على الفساد المنتشر في البلاد والقضاء على الطغاة والمستعمرين والفاسدين الطامعين وإنشاء وطن ملئ بالقيم والعدل هو أساسه القوى كلمات جعلت كل من في المسرح يصفق في حرارة للممثل الذى أدى دور الملك بإتقان شديد

أكمل الممثل حديثه حتى قاطعه أحد الجالسين على المائدة قائلاً لابد من وضع خطة واضحة حتى لا يتهمنا البعض بإثارة الفوضى هنا قاطعه الشاب المؤدى لدور الملك بكل تفان و بعصبية شديدة لا لن نتنازل عن مطالبنا سنكون كالجسد الواحد سينزل الشعب معنا وسنكون يد واحدة ولن نتنازل عن مطالبنا ولو حرقونا وقطعونا ولو نزلت السماء على الأرض أو أشرقت الشمس من مغربها ثم يهُب الشاب واقفاً في نشاط ليمد يده قائلاً من سيكون معي من سيقف بجواري فيضع الممثلون ايديهم في يد الشاب فوق بعضهم في تشابك وتلاحم ووحدة ويزدل الستار على الفصل الأول من المسرحية ويصفق الجمهور

في الفصل الثاني يظهر الممثل الشاب وهو يضع خطة للثورة وكيف سيقوم بالسيطرة على أماكن العبادة ليقوم بنشر خطاب فيها بعد أن يتعاون معه المسئولين عن هذه الأماكن وكيف نزل الشعب في ثورة عظيمة بدلت حال البلاد وأطاحت بالفاسدين والطامعين والكارهين وينتهى الفصل الثاني بمشهد للممثل وهو يقوم برفع علم البلد فوق قصر الحكم

الفصل الثالث كان يتحدث عن انجازات الراحل أثناء فترة حكمه ولكن تبدل الممثل الشاب بآخر كبير في السن ليؤدي دور الراحل في همة ونشاط وإبداع ويظهر الفصل الثالث كيف نزل الشعب ليطالب الملك بالبقاء في الحكم وكيف فرض الملك الأمن والأمان والاستقرار في البلاد وكيف طور المنظومة التعليمية والصحية والصناعية والزراعية وكيف رسخ المبادئ وقام بالعدل بين الغنى والفقير وكيف كانت حياة الأفراد سعيدة هنية

في الفصل الأخير يظهر الممثل كبير السن وهو يجلس على كرسي متحرك بعدما أصيب بالشلل إثر صدمُته بمعرفة موت ابنه ويظهر الفصل الاخير كيف كان الشعب حزينا لموت الابن الوحيد للملك مما جعلهم يتساءلون من سيأتي من بعده ويدعون إلهَهُم أن يطيل عمر ملكهم الذى رفعهم وجعلهم في مكانة عالية أو هكذا يظنون

وإنتهت المسرحية بعد أن قال الممثل كبير السن إذا توفيت الأن فسأكون مطمئن على مستقبل أمتى ليهب كل المتفرجين في تصفيق وبكاء حار وشديد ويزدل الستار وتنتهى المسرحية

بعد أيام خرجت الجنازة من قصر الحُكم جنازة كبيرة بحق فالوجوه ازدادت

كآبة وحزن وألماً كأنها واجهت ورأت واصطدمت بالحقيقة

وامتلأت النفوس بالهم والكمد والجروح والرجال يبكون بكاء حار ويلطمون وجوههم مع النساء اللواتي انطلقت الدموع من عيونهن كالفيضان وهن يولولن ويتشنجن والنساء كبار السن جلسوا على الأرض يحاولن دفن انفسهن أحياء في التراب وهم يلطمن خدودهن التي تكاد تتمزق من شدة اللطامات والرجال ما زالوا يتصارعون ويحاولون لمس تابوت الراحل عندما خرج من القصر

التابوت مصنوع من الخشب ومطعم بالصدف والعاج وعليه نقوش من الذهب والفضة وغطى أعلاهُ بعلم البلاد تسير الجنازة بين الملايين والدموع والأحزان كأن الشعب كله جاء لمشاهدة الجنازة

من المستحيلات أن تقوم بفرد ومد قدمك لأكثر من خطوة واحدة, الجنازة تسير ببطيء شديد بسبب التكدس من يسقط مختنقاً لا يساعده أحد يتركونه في منتصف الطريق ويكملون سيرهم لا أحد ينظر أو يلتفت لشيء آخر سوى التابوت... التابوت ولا شيء آخر

كل شيء غريب ولكن الأكثر غرابة أن بعض الافراد قاموا بالصعود الى أعلى البنايات المرتفعة الشاهقة لإلقاء أنفسهِم

أصبحت الجنازة تسير والجثث تتساقط من أعلى كأنها قادمة من السماء البعض قام بتمزيق وقطع شراييه بآلة حادة ومن لم يجد آلة يقطع بها شراييه يقوم بقطع ملابسه وشنق نفسه

حتى الأن لا أعلم السبب وراء كل ذلك أي شيء كان السبب في إمتلاء الأرض بالدماء من حولي أي شيء يفعله هؤلاء هل اصيبوا بالجنون أم ماذا حدث!

لماذا يشعر هؤلاء بالضياع والتشتت وفقدان الأمل وكأن الحياة قد إنتهت بموت الملك هل كانوا يظنون أن الملك لم ولن يموت وسيظل حي إلى الأبد أم أنهم يبكون لعدم وجود خليفة للملك بعدما مات ابنه كأنهم يظنون أن كل خير ومال جاءهم وحصلوا عليه كان بسبب الملك كأن الملك هو المسئول عن الخير والشر والصحة والمال والأولاد والرزق وكل ما يأتي لهم... هذا الملك الذى تولى الحكم قبل ستون عام كاملة مات فيها من مات وولد من ولد وأي شيء كان يملكه هذا الكهل العجوز الذى أصبح معاق أن يقدمه... أي شيء

كل إنسان يفعل الخير والشر والخطأ والصواب هل لا يوجد أخطاء لهذا الرجل وإذا كانت فكيف أخفاها... كيف ؟

بلد لم أشاهد مثلها من قبل لم أرى مكان فيه كل هذا الاختلاف والتناقض هل يظن أهل هذه البلدة أنهم في أفضل مكانة بين الشعوب حتى يشعروا بكل هذا الضياع, إنهم من الشعوب المتأخرة في كل شيء إذنً أي شيء جعل هؤلاء يشعرون بكل ذلك الحزن والفقدان والألم والخوف من المستقبل

سأرحل اليوم أوغداً عن هذه البلد لأكمل مسيرتي التي بداتها منذ سنوات طويلة سأزور بلد أخرى ولكن بكل تأكيد لم تكون غريبة كهذه البلد سأطوف بالعالم سأزور كل مكان لأتعلم وأعلم وأرى المزيد من المشاهد العجيبة التي لا بد من تدوينها وكتابتها

الشيء الذى لا بد من كتابته هنا هو أن بعد رحيلي عن هذه البلد بسنوات طويلة علمت أن أهل البلد قاموا بحرق المكان الذى دفن فيه الملك وابنه وأنهم يتهموه بالفساد ويقولون أنه كان سبب في تأخر البلاد... حقا إنها بلد غريبة

(٥)

الحقيقة والميلاد

١

هذه هي حياتي هكذا كانت وهكذا تسير حياة كئيبة وعمر تعيس... الأيام الجميلة تم توديعها منذ زمن ليس بقريب

أي شيء جاء بي إلى هنا؟ إلى أين سأذهب؟! أعلم أنني جئت هارباً... من حياتي وحاضري

تحت هذه المئذنة جلست... كيف كان عمر هذه المئذنة الشاهدة على تاريخ مر وتاريخ يكتب وتاريخ سيكتب؟

هنا في هذا الشارع تحت هذه المئذنة وهذا المسجد السلطان قلاوون ومن خلفي قبة نجم الدين أيوب

التاريخ من حولي يضمني يأخذني من نفسى وأصلى ينتشلني نشلاً من تعاسة حاضري... ليت التاريخ يعود يوما والزمن يعود كما كان

أنظر إلى المئذنة الناظرة إلى اللانهاية إلى القبة والشبابيك الصغيرة في الأعلى والكبيرة في الأسفل إلى العواميد الفاصلة بين الشبابيك التي يقسمها الحديد إلى مربعات متلاحمة وإلى الزخارف التي تحيط بالقبة والزخارف التي نقشت ونحتت بإتقان وفن على المئذنة والواجهة ,أنظر إلى الشبابيك المطعمة بالجص و الزجاج الملون العاكس لأشاعه الشمس المشرقة بعد ليل طويل

هنا بعيداً عن الضوضاء وقريبا إلى الصفاء هنا أعثر على ذاتي وذكرياتي الجميلة التي لم تنطفئ في يوم ما,هذه هي حدودي وهذه هي روحي الهائمة الساعية الباحثة عن شيء ربما لا وجود له

إلتفت يميناً أرى الشمس من خلف مئذنة السلطان برقوق يزداد شعوري بالخلاء الروحي والصفاء العقلي بعدما غمرت أنفى رائحة الندى

هنا لعبت وهنا كبرت أي زمن أخذني من هذا المكان وفى أي وقت رحلت عن هذا الجمال

من هنا ابدأ في التأمل ويبدأ عقلي في التفكير في الذى ذهب وفيما هو أت يا له من عمر طويل يمر يبدأ بالطفولة ثم الشباب ثم الشيخوخة ثم يتحول كل هذا لغذاء للأرض

أشعر بإنسانيتي بعقلي وإحساسي أكاد أسمع نبضات قلبي عندما أتذكر الذكريات التي تمثل لرجل مثلى في العقد السادس من عمره حياة بأكملها... أعيش على مجموعة من الذكريات الجميلة... الذكريات هي الحياة التي تريد ألا تنساها أبداً

أسير وحيداً في الشوارع أمر بالحارات التي مررت بها من قبل...في زمن رحل بما فيه من لحظات... كل مكان هنا له حكاية ستظل باقية ما دمت حي كل حجر في كل بناية وكل ركن له ذكريات محفورة وفى الوجدان محفوظة

هنا عندما أنظر خلفي أرى المئذنة وهى تتوارى خلف جدران أثر جديد أثر يسلمني إلى أثر كأنى أتنقل بين دروب التاريخ وطياته الباقية الخالدة

ها هو الوقت يمر سريعا و الليل يعود للسيطرة على الأجواء أسير نحو مقهى قريب من ميدان بيت القاضي

أبحث عن شيء ما زلت لا أعلمه أشعر بمن حولي وكأنهم بعيداً عنى وبعيد عنهم أصل إلى المقهى أجلس في مكان بمنأى عن الضوضاء والزحام أنظر في عيون الجالسين

لفت انتباهى صوت غليظ قبيح لرجل ربعه ذو كرش هائل ولغُدٌ عظيم يا لقباحة الصوت والمنظر كان يتحدث في الهاتف كان الكل في عون المستمع

شباب يلعبون الورق وبعضهم يلعب الطاولة ورجل يرتدى بدلة ويجلس في صمت يضع مبسم النرجيلة في فمه يأخذ أنفاس قصيرة أنظر إلى الماء الذى يترجرج في الوعاء الزجاجي مع كل نفس ثم يأخذ نفس طويل فتزداد الجمرات احمراراً أنظر إلى جهة أخرى. لا.. هي ..هذا غير معقول أي شيء جاء بها إلى هنا... لم يختلف شكلها لم تتبدل ملامحها هي.. بكل تأكيد...هى

٢

لم تتبدل ملامحها لم يذهب وينطفئ بريق وجاذبية وجمال عيونها العسليتين الواسعتين... لماذا أشعر بالبهجة كأنى وجدت الشيء الذى طال انتظاره الشيء

الذى بحثت عنه طويلا لسنوات لم أحصها عدداً

تدور بداخلي الاسئلة عاصفة تعبث بعقلي وأفكاري تسيطر على مشاعري وعلى وجداني...

أعود لأكثر من ثلاثين عام أو قبل ذلك بعشر... أغوص في أجمل لحظات حياتي .. لحظات قصية بعيدة كل البعد عن حاضري هذا أتذكر الذى مضى ورحل وأصبح في خبر كان ومع ذلك لا أشعر بالغربة

هل تزوجت ولك أولاد أم بقيتي وحيدةٌ مثلى وأي شيء جاء بك إلى هنا

هل في فراغك وفى لحظات شرودك وتأملك تتذكرين الذكريات التي مضت بيننا...

تلك الأيام التي رسمنا فيها عالم آخر لنعيش فيه سوياً عالم ملئ بالبهجة والسعادة لا يعرف معانى الحزن والضعف والخوف

يا من كنتي شمسٌ في نهاري وقمرٌ في ليلى إذا نسيت لم أنسى أبداً شكل ابتسامتك ولون اسنانك البيضاء كحبات اللؤلؤي المتوارية خلف شفتان مكتظتان بالأنوثة مرحك وهمسك ولمساتك البكر الصافية كنتي من عناصر حياتي ووجودي وفجأة لم أشعر بك وأجدك في وجودي

وقوفنا أمام النهر السائر في صمت وهدوء وتهادى عندما تعاهدنا على أن يظل حبنا وعشقنا وهُيامنا إلى الأبد عندما تواعدنا على الإتصال وعدم الانفصال وكتابة قصة حب تورث لمن يأتي من بعدنا

حينها فقط شعرت بفراغ روحي وابتعاد عن كل شيء قريب من الحزن وشطحت بأفكاري هائماً مُحلقاً في عالم آخر ولم أشعر بحدودي كأنني أمتلك عالم بأكمله

كنتي كالحلم لا أظن أن يكون حقيقة أول نظراتنا البريئة من شباك غرفتي خلسات كنت انتظرها يومياً في توتر وخجل

أول كلمة وهمسة ولمسة حنين كانت سبب في مولد عالم جديد بداخلي عندما جرت وسارت في أوصالي رعشة كانت إثر رهبة

هل كنتي تعرفين قدر حبى لك أم أنني فشلت في التعبير إن كنتي لا تعلمين فيجب أن تعرفي أنني احببتك قدر دقات قلبي منذ مولدي وحتى الان وقدر كل لمسات الحنين بين العاشقين منذ أن عرف أدم الأرض وقدر احاسيس كل عاشقٍ صابر متألم

لو تعلمين كم كانت غيرتي عليك كنت أغير عليك من همسات ونسمات الهواء المداعبة لك

كل يوم آجئ إلى هنا أجلس في نفس المكان البعيد عنك الذى يسمح لي برؤيتك لا استطيع مواجهتك لا أعلم السبب

شيء ما يجعلني أجلس بعيد عنك حتى لا تستطيعين رؤيتي أخاف أن أُواجهك فلا تتذكريني حينها سأتمنى الموت سأشعر بأنفاسه

أريد أن أعرف سبب حزنك الدائم علامات الحزن تسيطر على وجهك وملامحك علامات أراها ولكن لا أعلم سببها... هل كنت سبب حزنك في يوم ما

كنتي كل شيء في حياتي حتى جاء هذا اليوم عندما علمت أن والدك ترك الحى وذهب ليسكن في حي آخر لا أعرفه أبحث عن مكانك دون جدوى لماذا أخذك والدك من عالمي كأنه خطفك خطفاً في لحظة لا اعلمها في لمح البصر أخذك وذهب بك إلى حي آخر و إلى أرض لا أعلم إن كانت قريبة أو بعيدة لا اعرفها أبحث عنها وعن مكانك ولكن دون جدوى

ليتني عرفت مكانك وأرضك ومرساكِ منذ زمن أنت الأن أمامي ولكن لا استطيع المواجهة وأي مواجهة وأي حب بعدَ أن وهن العظم منى وأشتعل الراس شيباً

مرت الايام والسنوات في سرعة بلا انتظار وبلا شعور منى بالوقت والزمن كأنها دقيقة أو ساعة واحدة مرت على ابتعادنا وليست سنوات وليالي طويلة

لن استطيع نسيانك أبداً صورتك في خيالي محفوظة وفى فؤادي محفورة... لماذا كان كل ما كان من ضياع حبنا وذهاب احلامنا وغروب شمسنا

متى سيهدأ روعي وخوفي ليتني ما عرفتك ولا رأيتك ولا تعذبت عذابا وهويت هويا

إنتهى كل شيء ولكن كيف أكتم صراخ سُكاتي الداخلي صراخات تفجر غرائزي

وتمزق خلاياي من الصعب أن يولد حب جديد مثل حبنا مهما مر الزمان ولكن لم ينتهى الحب عندنا أبداً سيولد حباً جديد بشغف جديد بعذاب وانتظار ولحظات ألم أكيد

كلما دارت الأيام تزداد ألامي تتسع جروحي اتساعا أتذكر ليالينا التي ذبنا فيها كالنغمة الواحدة عندما تجمعت المشاعر والأماني في سماء صافية

هل تعلمين كيف كان حالي وشعوري عندما أنطق إسمك فلا أجدك بجواري يزداد حزني يزداد صراخ صمتي أتذكر عينيكِ الغامضتين القاتلتين لقلبي و لكل ما هو حي عيونك الموجود بداخلهم أسمى معانى الحياة من الأفراح والأحزان والأوهام والحقائق والأحلام

حبيبتي هذه هي رسالتي لك هذه هي مشاعري الصادقة سأحاول مواجهتك في وقت آخر لا أعلمه أريدك أن تعلمي أنني لم أنسَكِ أبداً مهما تغيرت الأزمنة ومرت وتبدلت الأماكن وتغيرت الفصول واختلفت المواعيد و تحولت معانى الانسانية وإن اشتياقي لك لم يهدأ أبداً

لكل إنسان حقيقة واحدة وهى الموت كنت أنت الحقيقة الأولى التي أخذت روحي وعقلي وجعلتني جسد بلا هوية أنا الأن فِي انتظار الحقيقة الثانية تلك التي تأتى بعد الميلاد

(٦)

اللوحة

١

هذه السنة لن أترك اللوحة تذهب لشخص آخر كما حدث في العام الماضي لأبد من شراء اللوحة بأي ثمن ... أنا فريدة عامر أرجع من المعرض السنة الماضية كما ذهبت بدون شراء اللوحة

قالت هذه الكلمات في عصبية وهى تقود سيارتها البى ام دبليو التي قامت بشرائها منذ شهور قليلة

اختارت السيارة بعناية بعد أن رأت أنها الأفضل فأصدقائها كان لديهم سيارات أحدث من سيارتها القديمة ولكن بعد شرائها لهذه السيارة أصبحت سيارتها أفضل من أي سيارة يملكها اصدقائها بكثير جداً

السيارة حديثة راقية جميلة مريحة فرشت بنوع خاص من الجلد الذى يعطى راحة أكثر للجالس وبلمسة واحدة تستطيع غلق الزجاج وفتحه السيارة لونها أبيض تبدو من الخارج كبيرة ومرتفعة عن الأرض تجعل الكل ينظر إليها عند قدومها في أي مكان

بجوارها جلست صديقتها المفضلة ندى المحمدي التي تعطى وتحكى لها كل اسرارها ما كبر منها وما صغر

كانوا في طريقهم إلى المعرض الذى يقام مرة واحدة كل عام ليأتي فيه الفنان الإسباني الأشهر في العالم لعرض آخر لوحاته

كان الطريق مزدحم وحالة المرور سيئة والشوارع متكدسة وبدا الشحاذون و المتسولون عملهم في همة ونشاط يتنقلون بين السيارات في خفة

حاجه لله يا هانم! تنظر من شباك سيارتها المرتفعة عن الأرض لا ترى أمامها سوى شعر رأس طفلة صغيرة وقفت بجوار باب السيارة

تنظر من خلال الشباك في وجه الصغيرة التي لطخ وجهها بالطين وترتدى ملابس مهلهلة واسعة مرقعة في اشمئزاز وقرف وبلمسة واحدة أغلقت زجاج

السيارة الذى وضع عليه لاصقة سوداء لا تسمح لمن في الخارج رؤية من في الداخل

قالت بعد أن اصبحت في منأى عن كل ما حولها من صخب وضوضاء و في لهجة تحاول أن تكون متعالية و تبدو عصبية

-مش معقول البلد بقى فيها شحاتين كثير جداً الواحد يمشى براحته فين بس ... كل إشارة وكل شارع تلاقى شحات ظهر لك من تحت الأرض

-اه والله فعلا بقوا كتير

-إنتِ عارفه المشكلة فين لو إديتي لواحد من دول جنيه ستتبدل نظرة التوسل الموجودة في عينيه لنظرة عدم رضا واشمئزاز كأنه بيقولك أعمل إيه بيه هل يجب على أن أعطيه كل الأموال التي معي حتى يكون سعيداً ما يشتغل بدل ما يشحت

تنظر ندى إليها وهى تهز رأسها في موافقة ورضا

-فعلا لازم يعملوا ويجتهدوا

يا بنت الكلب ده إنت لو بعتي فردة جزمتك لن يبقى فقيراً واحداً... كان هذا هو لسان حال ندى كَانت تريد أن تقول لها ذلك في وجهها ولكنها لم تفعل أبداً

تعرفوا واصبحوا اصدقاء من خلال الجامعة ... ندى المحمدي والدها صاحب مصنع حالتها الاجتماعية والمالية لا تقارن بفريدة ابنة رجل الاعمال الشهير الذى يعرفه الكل داخل البلد والتي تسكن أرقى وأنظف أحياء المدينة

هكذا تعرفوا واصبحوا أصدقاء فريدة تحب مصاحبة من هم أقل منها حتى تشعر دائما أنها الافضل مثل الفاشل يحب دائماً أن يصاحب الفشلة حتى لا يشعر بفشله إذا صادق الناجحين والمجتهدين

كلما اقتربت من مكان المعرض يزداد الفقراء والمتسولين من حولها بعضهم يلمس السيارة في دهشة

وصلت إلى المكان المقام فيه المعرض كان المكان قريباً من مسجد السلطان الغوري في شارع الازهر حاول المسؤولون عن المعرض هذا العام أن يكون

المعرض في هذه المنطقة الأثرية حباً في التاريخ والحضارة

-إيه القرف ده مش معقول إزاي مكان راقي ونظيف زي ده يفشل في تنظيم المعرض السنه دي

إزاي الناس دي وصلت الى هنا وإزاي يبقى المعرض في المكان ده

هنا تتدخل ندى تحاول تهدئتها وفى نفس الوقت الإتفاق معها في ذكاء وحكمة

-الفكرة جميلة إنهم يخلوا المعرض في مكان أثرى ولكنهم فشلوا في التنظيم فشل واضح المكان والشارع زحمة جداً وفيه شحاتين كثير بس إنتِ أنظري إلى مئذنة المسجد جميلة جداً

قالتها ثم نظروا إلى المئذنة ذات الرؤوس المتعددة

وإلى النقوش الدائرية والطولية التي عليها والرسوم التي تشبه قطعة الشطرنج المرسومة بإتقان ولا تقدر بثمنٍ على المئذنة

ولكنهم لا يشعرون بجمال أي شيء في ذلك ولا يروا سوى الزحمة والتكدس وأعداد الشحاذين

هكذا نجحت صداقة فريدة وندى وأصبحت صداقة قوية فكل رأى تقوله فريدة لابد أن توافق عليه ندى حتى وإن كانت غير مقتنعة فريدة تريد أن يصبح وأن ترى الخلق اغنياء مثلها وندى تتفق معها في ذلك وتنافقها ليس حباً في شخصيتها ولكن حباً في الهدايا التي تأخذها في كل مناسبة

٢

بالرغم من سوء التنظيم والفشل الواضح وتجمع الفقراء والشحاذون في الخارج ملتفين حول المكان بملابسهم الممزقة المرقعة المهلهلة ورائحتهم الكريهة واشكالهم التعيسة واجسادهم المريضة بدا المعرض

الاعداد ليست بالكثيرة فقليل من الناس هم من يهتمون ويحبون الرسم وخصوصاً لو كان من هذا النوع

وقف العشرات خلف الفنان الذى أخذ يشرح تفاصيل لوحته التي رسمها

اللوحة رسم عليها امرأة تنظر إلى أعلى حيث رسم قلب فالمرأة تنظر إلى القلب وكأنه ليس ملكها وبالتالي بدا الرسام في شرح فكرة اللوحة وكيف كان يريد أن يوضح ويقترب أكثر من شخصية المرأة التي تحاول دائما أن تملك قلبها لان أي شخص من الممكن أن يملك قلب المرأة بكلمة طيبة ولطيفة

ويؤكد الفنان فكرته وأنه كان يريد أن تكون اللوحة هادئة وبسيطة

بعدما إنتهى الفنان من شرح اللوحة قالت فريدة بسعادة ودهشة

- بجد تحفة أجمل بكثير من لوحة العام الماضي

فعلا اللوحة بسيطة وجميلة وواضحة الافكار هكذا ردت ندى

بدأ المزاد كان سعر اللوحة باليورو ما يعادل مليون جنيه مصري

كان المبلغ صغيراً ومفرحاً لمن في الداخل أصحاب الملابس الراقية والازياء الفاخمة والفساتين المصممة والسيارات الحديثة والروائح الطيبة وكان محزن ومؤلم وكبير جداً لمن في الخارج أصحاب الملابس المرقعة والقمصان المهلهلة والأحذية المقطعة الذين لا يملكون سوى ثمن طعامهم إذا كان

٣

ثلاثة مليون وأربعمائة الف

هكذا قالت سلمى النويري التي اشتهرت بفوزها بكل اللوحات التي تشارك في معارضها

خرج الكثيرون من المزاد بعدما تخطى المبلغ الثلاثة ملايين ولم يتبقى سوى فريدة وسلمى النويري

قالت فريدة بحماس

-اربعة مليون

-ومائتي

-وخمسمائة

-خمسة مليون

-وثلاثمائة

-وستمائة

-ستة مليون

تنظر سلمى إلى فريدة في استهزاء وعصبية ثم تأخذ حقيبتها لتنصرف غاضبة

يكرر الرجل الذى وقف ومن خلفه وضعت اللوحة ستة مليون

-مبروك يا فريدة اللوحة تجنن

قالتها ندى بحماس شديد وهى تحتضن فريدة التي ذهبت في سعادة وفرح وحماس شديد لاستلام اللوحة

٤

لا تصدق عيونهم ما يحدث امامهم شيء اول مرة يروه كيف حدث هذا هم مندهشين منبهرين مستغربين مما يحدث الان

اللوحة تتمزق لا يمزقها أحد اللوحة تمزق نفسها اللوحة تتقطع طوليا من أعلى الى اسفل

يقف الفنان يعتذر يقول إن هناك خطأ ما فعله هو ما كان سبب في تقطيع اللوحة لنفسها بهذا الشكل عند تحريكها قال أنه يتأسف بشدة وإنها المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك

فريدة تقف مع الذين وقفوا مبهورة لا تدرى أي شيء تفعل تبدأ علامات الغضب في السيطرة عليها, ملامحها تبدأ في التبدل فاللوحة تتقطع أمام عينيها وهى واقفة لا تدرى ما يحدث

هنا تتدخل ندى بسرعة قائلة

-هذه حادثة لم تحدث من قبل أن تتقطع اللوحة بدون أن يقترب شخصا منها هذه الحادثة ستكون حديث الصحف لأنها لم تحدث من قبل وسترفع من ثمن

اللوحة كثيرا

وبالفعل بدأ شعور من الراحة يسيطر على فريدة التي فكرت في كلام ندى فهدأت ملامحها وهى تفكر في الكلام وكيف سيزيد ثمن اللوحة بعد هذه الحادثة الفريدة التي لم تحدث من قبل

وبالفعل استلمت اللوحة بعدما رأت علامات الاعجاب في عيون الحاضرين واعجابهم باللوحة واندهاشهم بالظاهرة الجديدة

اثناء عودتها من المعرض كانت تضع اللوحة في المقعد الخلفي للسيارة وكانت في غاية الفرحة والسعادة لسببين الاول فوزها باللوحة على حساب سلمى النويري والسبب الثاني أنها رأت الإعجاب في عيون الحاضرين فشعرت بالغرور فأصبحت سعيدة

قالت لها ندى وهى تظهر ما لا تبطن

-إنتِ أكثر من يستحق الحصول على اللوحة

بعد أيام تلقت اتصالات كثيرة من صحف ومحطات عالمية يريدون لقاء معها للحديث عن اللوحة وعن الظاهرة الفريدة

كانت سعيدة جداً بهذا الإهتمام ولكن ازداد فرحها وسعادتها بعدما إتصلت بها سكرتيرة رجل الأعمال البرتغالي الأشهر في العالم تبلغها بأنهم يريدون شراء اللوحة بأي ثمن تطلبه وعرضت عليها مبلغ لم تكن تتخيله أو تطلبه مبلغ كبير جداً وخيالي

وبالطبع وافقت على بيع اللوحة بعدما أظهرت عدم رغبتها في البيع حتى لا يفكر البعض أنها بحاجة إلى المزيد من الأموال

ولكنها وافقت على أي حال فالمبلغ كبير حقاً من الممكن أن تقوم بعمل المشروع التي كانت تحلم بتحقيقه وشراء سيارة أو سيارتين جديدتين مثل الموجودة عندها

هي غنية ومعها من الأموال ما يكفى ولكنها تنظر إلى الأفضل والأعلى دائما وتفكر كيف تضيف المزيد من الأموال ليس طموحاً ولكنه عدم رضا وغروراً حتى يزيد تكبرها على من حولها وتصبح الأفضل... أو هكذا سترى نفسها

فمثلاً إذا امتلكت طائرة خاصة بدل سيارتها بعد فترة ستقف أمام الطائرة وتنظر إليها في اشمئزاز وستفكر في كيفية شراء سفينة فضاء وإذا امتلكت ذلك ستشعر أنها بحاجة إلى شراء قصور في دول خارجية وبعد كل ذلك ستشعر أنها تريد المزيد والمزيد وأنها قليلة مقارنة بمن حولها ولن تكتفى ولن ترضى أبداً

وهذه هي طبيعة الانسان لا يرضيه شيء

٥

تبحث في كل مكان داخل البيت تحاول أن تكون هادئة تحاول السيطرة على أعصابها حتى تفكر وتتذكر في أي مكان تركت اللوحة

تجرى نحو السيارة بعدما تذكرت أن اللوحة كانت على المقعد الخلفي فمنذ جاءت من المعرض نسيت اللوحة في السيارة و كانت مشغولة بالترحيبات والمباركات والإهتمام الصحفي ونسيت اللوحة

تفتح باب السيارة تفتش في كل جزء داخلها لا وجود للوحة أين ذهبت اللوحة... تبخرت لا وجود لها هل سرقت وكيف تسرق هل يترك السارق كل هذا الخير الوفير الكثير ويأخذ اللوحة فقط

تجد هاتفها قريب منها تحاول السيطرة على هدؤها تتصل بندى صاحبتها التي تعطيها اسرارها صغيرها وكبيرها تجاهد حتى لا تبدو لهجتها عصبية ومنفعلة

ولكن شخص آخر غير ندى يرد عليها صوته غليظ وسيء يشبه صوت المتسولون رد عليها بسرعة قبل أن تتحدث قائلاً

-حاجه لله يا هانم... لله

(٧)

شطح الخمس

يقال إن عمره ألف سنة ويقول البعض أنه تخطى الألفي سنة منذ فترة ليست بقريبة بينما يؤكد البعض إن زمن بناءه يعود لخمسمائة عام فقط

الحقيقة لا يعلمها أحد ولكن إتفق الجميع على أن هذا الحى واحد من أقدم وأعرق الأحياء في المدينة التي تضم خمس أحياء هم الأكثر عراقة وتاريخاً ولذلك تعتبر المدينة من أكثر المدن ضماً للأثار ليس في البلاد فقط بل في العالم

الخمس أحياء تم بنائهم في أوقات مختلفة ولكن أسلوب البناء واحد ولكن يؤكد بعض المسئولين العالمين بالظاهر والباطن من الأمور أن الحى هو أول ما بنى من الأحياء الخمس وأنه يحمل أكثر وأكبر عدد من الأثار القديمة والعريقة التي مر عليها سنوات طويلة جداً

مسجد برسباي أول مسجد بنى في المدينة ويؤكد البعض أنه أول مسجد بنى في البلاد زمن بناءه يعود لأكثر من ثلاث قرون أو أكثر ويعتبر أكبر المساجد مساحة في البلد مئذنة المسجد رشيقة وجميلة أما القبة فيحوطها زخارف دائرية وطولية ونقش على الحوائط بعض الآيات القرآنية بحروف متداخلة ومتشابكة المنبر مطعم بالعاج و الصدف ومن الخارج به شبابيك مستطيلة موضوع فيها زجاج ملون يعطى شكلاً مبهراً وشبابيك دائرية رامزة إلى الحياة والأرض في حركتها ودورنها

مسجد الجهار ثاني المساجد التي تم بنائها في المدينة يشبه مسجد برسباي كثيراً ولكنه أقل منه مساحة

مسجد المطهر أسلوب بنائه يختلف كثيراً عن باقي المساجد فالمسجد يعتبر معلق ومدفون به صاحبه... محراب المسجد به بعض النقوش التي تشير إلى أعلى حيث اللاحدودي واللانهاية

كنيسة الشهداء من الكنائس الجميلة في كل شيء بنيت فوق مكان عالي حيث تظهر من أي مكان في المدينة يقال أنها أول الكنائس التي بنيت في البلد لأنها تحتوى على بعض الرسوم واللوحات القديمة جداً

الكنيسة القديمة لا أحد يعلم سبب تسميتها فهناك كنائس أقدم منها كثيراً يقال إنها رابع كنيسة بنيت في المدينة تحتوى الكنيسة على الكثير من الكتب والمجلدات النادرة جداً التي لاوجود لها في أي مكان آخر

بالإضافة إلى العديد من القصور الكبيرة التي بها حدائق أصبحت مهملة ومنها من كان يحمل بعض النباتات النادرة والأشجار التي تم تدميرها والسبل التي بنيت في عصور مختلفة

كل هذه أماكن موجودة داخل حي واحد من الأحياء الخمس كل هذه أماكن تدعو إلى نشر الفن وحب التاريخ والماضي والحضارة أماكن تجعلك تشعر بالزهو والفخر والتيه لأنها داخل مدينتك أو بلدك والرهبة والخشوع سيسيطران على مشاعرك وفؤادك عندما تزور كل هذه الأماكن الخالدة في هذا الحى العريق

الاغنياء والفقراء الكل يعيش داخل الحى في سلام وأمان ومحبة حتى جاء هذا اليوم... الذى غير تاريخ الحى ... بالتأكيد سيكتب هذا اليوم في تاريخ الحى إن بقى

٢

ماذا يحدث؟ تكاثرت الاقاويل على ما يحدث في واحد من الأحياء الخمس ماذا يجرى هناك في الحى الثاني أطلق إسم الثاني على هذا الحى لأن العالمون قالوا إن هذا الحى هو ثاني الأحياء التي بنيت في المدينة... ولكن ما من أحد يعلم حقيقة ما يحدث

كيف تتم إزالة البيوت بهذه السهولة ؟ وما هو الدافع؟ هل يوجد عاقل يزيل البيت الذى يعيش فيه لابد من وجود سبب ما لا أعلمه أنا ولا يعلمه أحد

بعد فترة وبينما العمال يقومون بالإزالة في بيوت الحى الثاني أكد البعض أن أهل الحى يقومون بإزالة بيوتهم للبحث عن كنز مدفون في باطن الأرض... كنز أي كنز

قالوا إن الناس هناك تؤكد أن أرض الحى موجود بداخلها وتحمل من الذهب والكنوز التي دفنها السابقون ما تحمل

يقولون إن اللجنة الاجنبية التي جاءت للكشف وترميم إحدى الأماكن الأثرية

في المنطقة وجدت كنز بداخل المكان الذى يتم ترميمه

ولكنها لم تخبر أحد بذلك لأنها ستأخذ وستسرق الكنز ولكن ما من أحد يؤكد ذلك فالشركة الاجنبية المسئولة عن أعمال الترميم وضعت ستائر سوداء فوق وحول الأثر حتى لا يرى من في الخارج ماذا يفعل من في الداخل إذنً كيف رأى أهل الحى أن الشركة وجدت كنز وأخذته

هناك من أطلق الإشاعة داخل الحى حتى يؤمن الموجودين بداخله أن أرض الحى مليئة بالكنوز والمجوهرات ولكن من فعل ذلك من الذى اطلق هذه الإشاعة... من

كل يوم يزداد إيمان الناس أكثر وأكثر بأن أرض الحى تحمل كنوز كثيرة ستجعلهم اغنياء وستحقق لهم احلامهم

شيء ما يجعلني لا استطيع التفكير إذا كانت الشركة المسئولة عن الترميم صادقة ولم تجد شيء في باطن الأرض فلماذا لا تخرج من خلف الستائر السوداء التي وضعتها لتقول ذلك للناس حتى يعلموا ويتوقفوا عن هذا الهراء أي شيء يجعلهم يكملون اعمالهم في لامبالاة وعدم اكتراث

سكوت الشركة يجعل الاحاديث تتناقل بين الأشخاص في سرعة حتى آمن البعض وبدأوا بالفعل في إزالة بيوتهم للبحث عن الكنز

مجموعة من الرجال ظهروا في الحى قالوا إنهم تابعين لمؤسسة البدل السوداء الاجنبية المهتمة بالبحث عن الأثار في العالم

قالوا إنهم جاءوا لحل هذه المشكلة وأكدوا إن بالفعل باطن الأرض يحمل الكثير من الكنوز والذهب والمجوهرات إذاعُثرعليها لم يكن هناك فقيراً واحد في الحى الثاني

وأنهم سيقومون بأعمال الحفر وإزالة البيوت وعند العصور على الكنز سيتم توزيعه على أهالي الحى

٣

مسجد المردانى خامس مسجد بنى في البلاد

مسجد قجماس واحد من أقدم المساجد في المدينة

سبيل دودو

بالإضافة الى قصرين وكنيسة قالت المؤسسة المسؤولة عن الحفر والتنقيب أنهم سقطوا وانهاروا لانهم لم يتحملوا أعمال الحفر الموجودة بجوارهم

يقول البعض إن عمق الحفر تعدى العشرون متر تحت سطح الأرض هل كانت الشركة المسئولة عن الحفر لا تعلم أن هذا العمق سيضر بالأثار المحيطة... لا أحد يعلم

لم يهتم أحد داخل الحى بما سقط من أثار وما ذهب من تاريخ لا يوجد شيء آخر يشغلهم عن أعمال البحث والتنقيب عن الكنز

***

هل هو جمل مصنوع من الذهب أم باب مصنوع من الذهب أم جمل وباب مصنوعان من الذهب

في الحى الثاني الكل يعيش في سعادة وسرور بعد الحصول على الكنز الذى ملأ البطون بعد سنوات الجوع وبلل العروق بعد سنوات العطش وحل محل البيوت القديمة قصور واسعة بحدائق شاسعة وسبحان من بدل الأحوال ولعلهم يتفكرون

٤

الغضب يملئ الصدور ويسيطر على الوجوه والفوضى مسيطرة ومتمكنة على الموقف بأكمله إحتشد أهالي الأحياء المجاورة يطالبون المؤسسة بإزالة بيوتهم كما فعلوا في الحى الثاني للبحث عن الكنز وبالفعل تدخلت المؤسسة للسيطرة على الموقف وبعد أيام قليلة تمت أعمال الحفر تتم أعمال الحفر وسط الغضب والانتظار والعصبية والتلهف العمال يقومون بالحفر بكرة وأصيلا للبحث عن الكنز, المهندس والعاملون لا يعلمون أي شيء سيفعلون فقد وصل الحفر لأكثر من خمسين متر تحت الأرض مما أضرعلى العديد من الأماكن الأثرية المجاورة فسقطت كأنها لم تكن

قال المهندس المسئول أنه لا توجد معدات في العالم تستطيع الحفر لأكثر من

ذلك العمال والمسئولون يحاولون إخفاء الخبر خوفاً من رد فعل الغاضبين الساخطين الواقفين منتظرين

بعد أيام علمت الأهالي أنه لا وجود لكنز في باطن الارض

لا يوجد قوة على الأرض قادرة على إيقاف الغضب

الثائرون الغاضبون اجبروا العمال بإزالة باقي الاحياء المجاورة الخطر يقترب ممن كان يظن نفسه بعيداً

والفوضى تزداد, قام الثائرون المنفجرون بجهلهم وحماقتهم بتدمير كل شيء للبحث عن الكنز

سافرالاغنياء بعد أن قاموا ببيع كل ما يمتلكون إلى بلاد أو مدن أخرى بعيدة عن هذه الأجواء التدميرية أما الفقراء فلا حول لهم ولا قوة اغلقوا أبواب بيوتهم من الخوف وظنوا أنهم بذلك لناجون

أول مسجد بنى في البلاد سقط أثناء الحفر كأنه لم يكن هؤلاء قوم يستهزئ الله بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ختم الله على قلوبهم

أهل هذا الحى لم يتغيروا أبداً هكذا كان حالهم منذ مئات السنوات وهكذا سيكون حالهم بعد مرور السنوات سيظلون كما هم محتفظون بجهلهم وحماقتهم وتعاستهم

وما من أحد يعلم السبب في كل ذلك ومن وراء ما حدث... من! هل الشركة الاجنبية هي المسئولة أم أهل الحى أم الفقر والجهل...الفقر والجهل سلاح حاد...بل تدميري عندما ينفجر سيهلك الكل ومن يظن نفسه بعيد سيكون أول الهالكين

أصبحت المدينة كالصحراء لا زرع فيه ولا ماء كأن كل ما حدث مجرد حلم أو خيال ففي لمح البصر لم يبقى وجود للأثر وذهبت المساجد مع الكنائس وما من أحد يعلم السبب أو أين ذهب الذهب الذى لا يقدر بذهب

أين ذهبت المؤسسة الاجنبية من كل ما حدث... أين... وأين ذهب الكنز والذهب... أين

(٨)

مسرح العرائس

قال عنه أبي عندما تقدم لخطبتي إنه عريس ابن حلال وناجح ومهذب

وحظرتني أمي من الحكي لأصدقائي عنه خوفاً من الحقد والحسد وأن يكيدوا لي كيدا

ولكنني كنت أشعر دائما بشيء ما يبعدني عنه عندما كنا نتلاقى قبل الزواج وبعده

كنت ألاحظ إن تصرفاته غريبة يبدو أكثر خجلاً أحيانا كنت أظن أن تربيته كانت مع بنات بسبب خجله الشديد أحيانا يتكلم بسرعة وكأنه يريد أن ينهى الحديث وأحيانا أثناء الحديث أو الجلوس معي يهب واقفا ويطلب الانصراف

بعد ذلك عندما أسأله عن سبب انصرافه لا أحصل منه على إجابة شافية فقط يجاوب بسرعة أو يحاول الدخول في مواضيع أخرى

لم أتعرف على أسرته إلا في وقت الفرح حتى عندما جاء لخطبتي إعتذر عن عدم حضور امه بسبب مرضها الشديد

كلما سالته بعد الزواج عن امه واسرته يقول إنها لا تحب أن تأتى وتعيش هنا وإنها تفضل العيش في الريف

كنت لا أريد أن اسأله لماذا لا يقوم بزيارتهم ولكن كنت أريد أن اسأله هل هناك خلافات أو مشاكل بينه وبين اسرته ولكنني كنت اتراجع كنت أخشى أن أضايقه بهذا الحديث وأيضاً كلما فكرت في سؤاله عن سبب توتره الدائم كنت اتراجع

كنت أظن أنه مصاب بأمراض نفسية... أخشى مواجهته بذلك خوفاً من أن يتهمني بالجنون فحالتي النفسية ليست على ما يرام وأن يكون كل ما أشعر به مجرد أوهام بداخلي لا وجود لها... حتى من قبل أن أعرفه كانت حالتي النفسية سيئة ولكن بعدما عرفته وتزوجته ازدادت الكوابيس

قبل الزواج كان كابوس واحد فقط هو الذى يأتي لي في منامي كل ليلة

حتى كنت قاب قوسين أو أدنى من الجنون أبحث عن تفسير لهذا الكابوس الذى يأتيني كل ليلة كنت اتحاشى وابتعد عن العلاج النفساني خوفا من أن يتهمني الناس ومن حولي بالجنون وكان هذا سبب في أن أبدأ الشك في نفسى

كنت أقول لنفسي وأنا أفكر إن الكل يقول على خطيبي الذى أصبح زوجي وسيم وقمر ومحترم ومهذب وأصدقائي يحسدوني عليه إذن لماذا أشعر بأنه غير ذلك لماذا أشعر بأن هناك شخصية أخرى خلف شخصيته شخصية تظهر أحيانا في نظرات عينيه وفى تصرفاته

كنت اتحاشى وأبتعد عن الصدام بعدما بدأت الشك في نفسى عسى أن يكون كل ما أشعر به مجرد أوهام عسى أن تكون الحياة هي الوهم ذاته

قررت أن أبدأ بعلاج نفسى أولاً حتى استطيع المواجهة فأقوى سلاح تستطيع به مواجهة الدنيا هو نفسك إذا انتصرت عليها ستكون قادراً على مواجهة العالم بدون خوف أو قلق لأنك ستملك الثقة والقوة واليقين بداخلك

كانت الأسئلة تدور بداخلي لماذا لا يبادلني الحب لماذا لا أشعر منه بالغيرة على أو الخوف

سأحكي أولاً كيف تعرفت عليه وكيف اكتشفت حقيقته وكيف أصبحت مجرد عروسة ماريونت

٢

الحمد لله المسرحية أعجبت الكثيرين ممن جاءوا لمشاهدتها فبعد انتهاءها صفق الكبار والصغار وضحك الأطفال كما ضحكوا طوال المسرحية

فالأطفال الذين جاءوا لمشاهدة العرض مع ابائهم وامهاتهم في سعادة وفرح رسمت البسمة على وجههم طوال المسرحية ولذلك شعرت بالسعادة والنجاح وكلما رأيت طفل مبتهج وسعيد أشعر وأتأكد من إتقاني لدوري ونجاحي في عملي

كانت هذه الليلة شاهدة على أول عرض مسرحي من كتابتي فأنا أعشق هذه المهنة وهذا الفن منذ الصغر

منذ طفولتي وأنا احب اللعب بالعرائس كأي بنت ولكنني كنت أقوم بربط

العرائس بخيوط حتى أتمكن من تحريك يدها ورجلها في وقت واحد في مرح

وعندما كبرت تعلمت هذه المهنة ومع الوقت أصبحت من أفضل وأمهر لاعبي الماريونت حتى اختارني المسئولون عن العروض لكتابة نص العرض وكانت هذه المسرحية هي العرض الأول من كتابتي

شكرني اصدقائي وزملائي في الفريق على إتقاني لدوري و كيف حركت العروسة في مهارة وخفة وعلى ما كتبت من سطور أضحكت الأطفال كثيراً

أخُرج من المسرح متوجهة إلى البيت سأنتظر الغد حتى أقدم العرض مرة أخرى أحب هذه المهنة حب لا حدود له أشعر براحة كلما دخلت المسرح وأمسكت بالعروسة لأحركها ذات اليمين وذات اليسار كما شئت

كانت أفضل لحظات حياتي عندما بدأت التعلم والعمل في هذه المهنة بالطبع وافق أبي لأن المسرح قريب من البيت استطيع السير من مكان المسرح وحتى البيت فالمسرح في العتبة وبيتي في المغربلين

بعد فترة من العمل أعجب المسؤولون وأصحاب الخبرة بنشاطي وإتقاني ورشحوني وعرضوا على السفر إلى محافظات أخرى لتقديم بعض العروض ولكن أبي كان يرفض دائماً فكرة سفري وحيدة

بعد خروجي من المسرح تمشيت في شارع محمد على حيث محلات بيع الآلات الموسيقية كان أبي يحكى أن هذا الشارع كان مأوى الكثير من الفنانين والفرق المسرحية وأن أم كلثوم كانت تغنى في المسرح القومي المجاور للمسرح الذى أعمل به ثم تمشيت في شارع باب الخلق حيث مديرية أمن القاهرة ومعارض الأثاث ثم بيتي في المغربلين

بعد دخولي من باب البيت سألتني أمي عن المسرحية وهل أعجبت الناس وعندما علمت أن المسرحية أعجبت الكثيرين دعت لي بالنجاح والتوفيق

أجلس على السرير أفكر في المسرحية هل أغير نص لا سأتركها كما هي افضل... الحقيقة أنني أحاول التفكير في أي شيء حتى أبتعد عن النوم خوفا من الكوابيس التي تأتيني كل ليلة

كلما وضعت رأسي على الوسادة لأنام... سريعا ما يأتي لي الكابوس كأنه في انتظاري

شباك غرفتي ينظر على مئذنة مسجد البهلوان منذ زمن عندما استيقظ وأنظر من الشباك أرى المئذنة أمامي بعواميدها بزخارفها ونقوشها الكثيرة المتداخلة المتشابكة المتلاحمة ولكنني لا أجد سبباً في أن تأتي لي المئذنة في منامي

في الكابوس أرى نفسى وأنا أصعد إلى شرفة المئذنة لأقفز بنفسي و أشعر بشيء ما يجذبني للصعود إلى المئذنة وأن شيءً يدفعني للإلقاء بنفسي داخل الحلم يبدو كل شيء ليس باختياري يبدو أنني مجبرة على فعل هذا حتى أن منظري وأنا غارقة في دمائي بعد السقوط لا يترك خيالي أبداً دائماً أرى نفسى وأنا أنظر إلى هذه الجثة الغارقة في الدم وكأنها غريبة عنى هذا ما يحدث في كل ليلة وبعد محاولات للسيطرة على دقات قلبي وتسارع أنفاسي أحصل على دقائق قليلة من النوم... قليلة جداً

في اليوم التالي وبعد إنتهاء العرض وأثناء خروجي من المسرح سمعت صوت شخص ينادى على وقفت ونظرت حيث مصدر الصوت رأيت شاب وسيم جاء في خطوات هادئة ووقف أمامي يرتدى بدلة سوداء طويل القامة يبدو أنيقاً ووسيماً

وقف أمامي وبدأ حديثه قائلاً إن المسرحية اعجبته وأضحكت أطفال أخته الذين جاءوا معه لمشاهدة المسرحية شكرته ولكنني فوجئت به يطلب رقم هاتفي سألتهُ عن السبب قال إن عيد ميلاد ابن أخته الأسبوع القادم وهو يريدني أن أذهب أنا والفرقة لتقديم العرض في عيد ميلاد الطفل وأنه سيكون سعيد إذا قبلت هذه الدعوة قلت له إن ممنوع خروج الفرقة لحفلات قال أنه متمسك بذلك لأن الحفلة ستكون سبب في إسعاد الكثير من الأطفال وأنه سيتصل بعد أيام لأبلغه ردى ثم تركني ورحل

عندما حكيت لزملائي قالوا أنه لاعب كرة قدم ولا بد من الموافقة فاللاعب شهير ومعروف وبالفعل حصلت على موافقة الزملاء وعندما إتصل بي بعد يومين بلغته موافقتنا

كانت الفيلا المقام فيها الحفل جميلة وواسعة وبها حديقة جميلة وحمام سباحة كبيرجداً و كانت الأجواء جميلة مبهجة

بعد تقديم العرض شكرنا الكثيرون من الحضور من الذين يرتدون أفضل الأزياء من البدل والكرا فاتات والفساتين القصير منها والطويل المخصصة لمثل

هذه الحفلات

جاء الشاب وقال أنه أعجب بمهارتي و تحريكي للعروسة في رشاقة وخفة وليونة لا أعلم سبب هذا الحديث فهو قال نفس هذا الكلام المرة السابقة ولكنه فجأه وفى خجل أبدى إعجابه بفستاني وبجمالي لا أعلم أي شيء أفعل بعدما توردت خدودي خجلاً فتركته وتركت المكان

بعد أيام إتصل بي وطلب منى مقابلته في مكان مشهور كنت سأرفض ولكنني وافقت بعدما قال إنه يريدني في شغل

ذهبت وجاء الشاب ببدلة تبدو أكثر أناقة و جمالاً وكأنه قد إزداد وسامة في هذه البدلة وجمالاً من المرات السابقة وقبل أن يصافحني قال إن هذه المرة هي الأولى له التي يجلس فيها مع فتاة وأنه لا يدرى بأي حديث يبدأ قال إنه معجب بي منذ رآني لأول مرة وقال بعد أن إزداد وجهه احمراراً وخجلاً إنه صريح يحب الصراحة وأنه لا يحب المصاحبة وأنه يريد خطوبتي

لم أعطى له جواباً فقط تركت المكان في خجل وكسوف ورهبة

بعد أسبوع قال لي أبى إن هناك شاب جاءه اليوم في مكان عمله يريد خطبتي

عندما قال أبى إن الشاب لاعب كرة تأكدت أنه هو ولكنني لا أعرف كيف عرف مكان أبى

كانت ترتيبات الزواج سريعة وبعد شهور تزوجنا وكما ذكرت سابقاً كان في كل المقابلات يبدو مرتبكاً وكأنه يبحث و يفكر عن شيء آخر وأنا أمامه

٣

بعد شهور من زواجنا بدأ يدعوني لبعض الحفلات الكبيرة كنت أظن إنها حفلات لزملائه في الفريق يحتفلون بأعياد ميلادهم زواجهم حبهم شيء كهذا

مع كل حفلة كانت الكوابيس تتجدد وتختلف كوابيس لا استطيع شرح تفاصيلها أو ذكرها هنا

بدأ يغيب عن البيت بالشهور وأنا لا أعلم مكانه في أي مكان... لم يقول لي شيء وفى ليلة جاء وقال أن أحد زملائه يدعوه لحفل عيد زواجه

وطلب منى أن أرتدى فستان اشتراه لي لهذه المناسبة... عندما ارتديت الفستان ظننت أنه أخطأ في اختياره فالفستان ضيق جداً يظهر كل ما في من مفاتن صدري الذى إنحصر بداخله وظهر انضمامه في إغراء يكاد يقفز من الفستان أما تقويرة واستدارة الردفين فواضحتين وظاهرتين لكل مالك بصر

كانت المفاجأة عندما قال أنه لم يخطئ في اختيار الفستان وأنه كان يريده هكذا حتى أكون مثل باقي النساء اللواتي وصفهم بالجميلات قلت له بعصبية ألا تشعر بالغيرة عندما ترى إمراتك عارية وهذا ينظر إلى فخذيها وذاك ينظر إلى نهديها لن أرتدى هذا الفستان أبداً قلتها في صرامة ووضوح

ارتديت فستان آخر من فساتيني طويلة الأكمام العادية التي لا تظهر ما تحتها ثم ذهبنا

المكان جميل ونظيف على ضفاف النيل جلسنا في انتظار القادمين هذه المرة كانت الطرابيزة المحجوزة مكونة من أربع كراسي فقط بعد دقائق دخل رجل في العقد الخامس من عمره وبجواره امرأة في نفس العمر لا أعلم من هذا الرجل الهرم وكيف يكون زميله كما قال

صافحونا ثم جلسوا لا أعلم لماذا شعرت أن الرجل يضغط على يدى أثناء المصافحة ربما تهيؤات أو شيء من خيالي

أريد أن أفهم وأعرف من هؤلاء ولماذا جاءوا وجئنا إلى هنا عندما سألته قال إن هذا الرجل هو مدربه في الفريق, إنت كذاب قلتها بلهجة واضحة لأن في حفلة سابقة جاء رجل في نفس العمر وقال لي أنه مدربه حاول تهدئتي سأشرح لكى الموضوع الليلة يجب أن تمر على خير ثم طلب لي ليمون وعدنا للجلوس كما كنا

لا أعلم أي شيء حدث لي بعد شربي لليمون فجأة زارتني الكوابيس كثيرة وشعرت بأنني أصبحت في منأى عن كل ما حولي انتقلت إلى عالم آخر ملئ بالكوابيس ما هذا أرى نفسى عارية في احضان الرجل الخمسيني الذى كان يجلس أمامي

لا لا أستطيع وصف ما اشاهده الأن لماذا تزورني هذه الكوابيس في كل حفلة أذهب إليها فقط يختلف الرجال لا لا هذا غير معقول بعد دقائق لا أو أكثر من ذلك أفيق أرى الرجل العجوز أمامي كما هو وبجواره امراته وبجواري

زوجي وكل شيء طبيعي

لا لا فأدقق النظر من أين ذهبت وإلى أين ذاهبة أنا في أي مكان جئت وإلى أي مكان ... أي مكان

بعد أيام من هذا اللقاء جاءتني رسالة على هاتفي من رقم غريب وما بداخلها جعلني إنهار من البكاء والنشيج لا لا أخشى أن يكون هذا كابوس أيضاً سأترك البيت سأذهب إلى أبي فلابد رحلة العلاج النفسي أولاً حتى أعلم هل أنا في نوم أم متيقظة أحرك صوابع يدى أنظر في المرأة هذا وجهى وهذا جسمي هذه أنا إذن أنا مستيقظة إذن الرسالة صحيحة كان نص الرسالة كالأتي

((لست الأولى ولم تكوني الأخيرة وإذا كنتي لا تعلمين من هو العجوز الذى جلستي معه هذا المورلي بيه المشهور بعلاقاته النسائية أما زوجته فهي مع زوجك الأن لو عاوزه تعرفي أنا مين قابلينى في العنوان ده الساعة الثامنة))

لا لن أذهب سأذهب إلى أبي سيكون عنده حل رأي أبي الرسالة قال سنتصل به وسيأتي لنعرف حقيقة الامر ولكن يجب أن تعرفي إن زوجك لاعب كرة قدم وبالتأكيد له أعداء

ليتني ما عرفت الكرة ولا لاعبيها

٤

حاول أبي عدة مرات أن يتصل به ولكن هاتفه كان مغلق في الليل وقفت في شباك غرفتي الناظر على مئذنة البهلوان كنت أتطلع إلى الزخارف التي تشابكت وتداخلت والنقوش المنحوتة بإتقان شديد ماذا لو قدمت عرض بالعرائس من فوق المئذنة سيبدو الأمر مثيراً وجميلاً جداً لا لن يحدث هذا أبداً

خرجت من شرودي عندما لاحظت أن هاتفي أصدر صوتا أمسكت الهاتف وجدت رسالة أخرى ولكنها من رقمه هو بسرعة فتحتها كانت الرسائل الاولى تحمل عدة فيديوهات لم أفتحها قرأت الأول نص الرسالة

((إنتى كنتي مجرد شغل لو حاولت تبلغي البوليس لن تستطيعي النزول من بيتك لان الفيديوهات ستبقى حديث الساعة في مصر الفيديوهات مش متركبة عارفه الكوابيس الى بتشوفيها دي حقيقة الاكل والشرب الى اكلتيه من ساعة

ما عرفتك فيه مادة زي البرشام بتغيبك عن العالم وتخليني أتحكم فيكي زي ما أنا عاوز بالضبط يمين. يمين.. شمال. شمال زي العروسة الماريونت بالضبط))

لا لم أكمل الرسالة لالا هذا كابوس هذا لم يحدث... لم يحدث... لا لا هذا غير حقيقي أنا نائمة... شيء ما يصرخ بداخلي يعلن أنني مستيقظة.. براكين تنفجر في ثورة بداخلي وغضب لا ماذا أفعل أي شيء يمكنني أن أقوم به الأن, لا لا إنه كابوس أو وهم لا من المستحيل أن تكون حياتي مجرد وهم أو عرض في مسرحية كبيرة أنا بطلتها مسرحية في مسرح عرائس وإن أنا كنت مجرد عروسة ماريونت

(٩)

الغاسق

الزمان والمكان والحقيقة ما من أحد يعلمها... وبالأخص إذا كان زمانه ومكانه وحقيقته هو ... الزمان ممكن ان يكون قبل ألف عام أكثر أو أقل ما من أحد يعلم أما المكان فقال البعض إنه في نقطة تواصل فيها الشرق مع الغرب وتلامس الشمال فيها مع الجنوب في أي مكان هذه النقطة ربما في صحراء قصية بعيدة كل البعد عن عالمنا هذا الذى نعيش فيه

صحراء شاسعة لا يستطيع الوصول إليها سوى من يعلمون ظاهر الصحراء وباطنها و من هم بالنجم يهتدون

قالوا أنه جاء إلى هذا المكان القصي البعيد منذ زمن جاء بعدما رأى أن كل ما لديه سيتحول إلى ضراً بعدما كان الناس سبب في أن يتحول كل ما لديه إلى ضرر... الناس طالبته بذلك وهو لا يدرى أي شيء يفعل... فجاء إلى هنا وإستعان بالصحراء والخلاء وأعتزل العالم وقال لن أكلم من اليوم إنسيا وسكن في مكاناً عالياً

أكد البعض إنه إتخذ أعلى قمة الجبل مكانه ولم ينزل منه إلا في زمن لا يعلمه أحد ربما اليوم أو الساعة أو بعد ألاف السنوات

من يقول انه يعلم الزمان الذى جاء فيه الغاسق كاذب ومضلل من ذا الذى يستطيع تحديد الزمن الذى ولد فيه الغاسق ومن ذا الذى يستطيع تحديد مكانه وأرضه

قالوا أنه مر بعصور قديمة وشاهد حروب تاريخية كان هو سبب في تغيير نتائجها

وأنه حارب مع المحاربين ولكن بالتأكيد لم ينهزم أبداً ومن ذا الذى يستطيع هزيمة جيش فيه الغاسق

في معركة ما جاءت في زمن ما سقط كل الجنود الذين معه غرقى في دمائهم ولم يتبقى سواه وبعض الجرحى وقف هو وبيده سيفه الحاد الصارم البتار أمام أكثر من عشرون ألف رجل ومحارب لم يطولهم جرح واحد هزمهم بضربات

قليلة من سيفه لم يبذل فيها مجهودا

من هذا الذى يستطيع وصف الغاسق طوله بنيانه وقوة جسده صلابته وقوفه ومشيته قسمات وجهه

هل خلق مثله في قوته وهيبته وشجاعته قال البعض إن طوله يتعدى الخمسة أمتار والبعض قال أكثر من ذلك بكثير أو أقل

الغاسق لم يخلق مثله من قبله ولا من بعده قال العالمون واختلفوا في قوته فقال البعض إن قوته تساوى قوة مائة ألف رجل وقال آخرون أقل من ذلك أو أزيد

لو عاش أحدً في عصره لحكى لنا ما راه ليحكي لنا عنه ليخبرنا عما فعل الغاسق في أدغال الغابات

عندما حارب الاسود في غابتهم وهو وحيداً عندما قضى عليهم وعلى النمور والفهود والثعالب في مأوهم في غابات بعيدة لا يستطيع أحد الاقتراب منها وليس دخولها

قالوا إن إسمه بسبب وجهه الذى يشبه سواد الليل وشدة قسمات وجهه أو لأنه لا يظهر سوى بالليل حيث الناس نياماً ليرد الحقوق إلى اصحابها

قالوا أنه نزل قرية محتلة فيها رجال يستحيون النساء ويذبحون الأطفال ويسرقون الأرزاق وفيها من الملوك من يفسدون ويظلمون ويهينون ويذلون أهلها فقتل كل الظالمين والفاسدين والطاغين ورد الحق إلى صاحبه وهم لا يشعرون

كيف يأكل ويشرب ويعيش الأن في هذا المكان الخاوي الخالي... لماذا إعتزل الناس... لماذا رفض عروضهم... أي شيء سيحدث لوكان قبل ما عرضوه... أي شيء

كم لديه من النساء والاولاد قالوا إن نسائه يبلغن الثلاثة ألاف امرأة أو أكثر من ذلك نصفهم أو أكثر من الجن اللواتي يرتدن بكراً في كل ليلة بالتأكيد هذا لا يفيد في شيء فمثل الغاسق قادراً على فعل أي شيء... إذا أراد

لماذا لا يأتي الغاسق في زمننا هذا لينصر المظلوم كما كان يفعل من قبل أيها

الغاسق فلتأتي فلتخلصنا مما نحن فيه وما سنكون فيه أي شيء كان سيحدث إذا لم يكن الغاسق الذى غير مجرى الحروب التاريخية من فريق قوى إلى فريق ضعيف وهزم الأسد في عرينه وضاجع من الجن ما شاء

كيف كان رد فعله عندما علم أن الكثيرين قالوا إنه الإله الذى نزل لإنقاذ عباده

رأي البعض وهم ثائرين ومؤمنين أنه هو الإله الذى خلق كل شيء وصنع كل شيء

ويريدون منه الاعتراف بذلك... كلمة واحدة تخرج من الغاسق ستكون سبب في إيمان الكثيرين به سيصبح بها إلهً على العالمين سيضعون أمامه الذهب والمجوهرات ويذبحون له الخراف ويركعون له ويسجدون... فقط كلمة واحدة منك أيها الغاسق ستكون قادرة على تغيير الكثير لماذا رفضت نطقها لماذا هجرت وذهبت بعيداً

أيها الغاسق أي شيء سيحدث لو أنك أحييت الميت بعد موته وجئت بالشمس من مغربها وصنعت صنعاً ولو كان لا قيمة له أي شيء كان ممكن للخلق من خلفك أن يفعلوه لك بالتأكيد لكانوا صنعوا لك من التماثيل والمحاريب في كل مكان وقالوا أنك أنت الإله الذى يحي ويميت ويأتي بالشمس ويطفئها هذا هو الإله الذى خلق كل شيء وأحسن صنعه وأنزل من السماء ماء وأخرج من الأرض الغذاء فلتعبدوه فلتسجدوا إليه

أيها الغاسق كلمة واحدة منك قادرة على أن يقاتل المؤمنين بك الكافرين بك فيكتب سطور جديدة في الصفحات التاريخية التي ستنتهى في يوم ما لا يعلمه مخلوق

كلمة واحدة منك قادرة على إنهاء البشر متقاتلين متصارعين مؤيدين ومعارضين كافرين ومؤمنين كلمة واحدة قادرة على إنهاء الحياة بأكملها

أيها الغاسق أي شيء منعك أن تعلن نفسك إلهاً على العالمين أي شيء جعلك غير قادر على أن تقول أنك أنت الإله لماذا لا تشعر بأنك إله مع أن كل الناس يقولون إنك الإله العجيب ايها الغاسق أنك غير مصدق أنك إله وكل من حولك يدفعونك لأن تصبح إلهاً

أيها الغاسق إذا نزلت من مكانك الذى لا أعلمه وأعلنت وقلت أنك الإله لم أؤمن بك أبداً حتى لا يأخذني الله بذنبي ويحسبني من الفاسدين لأنك مخلوق خلقت ولم تكن شيء وستموت في يوم ما وفى ساعة حتى ولو طال انتظرها وأجلها في ساعة مكتوبة لك ستذهب في ساعة لا يعلمها أحد في الارض ايها الغاسق فلتعلم أنك إذا فعلت ذلك فستتأتى فرياً بغياً ويجب أن تعلم أن الظن لا يغنى من الحق شيء... يا أيها الغاسق

(١٠)

حق حسين

قام من النوم بعد ليل طويل لم ينم فيه سوى دقائق معدودات طوال الليل ظل جالساً على السرير يحدق وينظر في الظلام الذى يحوطه... يفكر في ما هو أتٍ بالنسبة له فيما هو قادم عليه ...

بعد أيام لم ينم على هذا السرير في هذه الغرفة داخل هذا البيت والشارع لا يعلم إلى أي مكان سيذهب وفى أي أرض سيرسى ستتبدل حياته لمدة ثلاث سنوات

مرة أخرى يفكر ويتسأل ماذا لو أصابه مكروه كيف سيكون حال امه وابوه واخوه كيف سيكون حال خطيبته حبيبته... كيف سيكون حال من ستصبح أماً لأولاده تواعدوا معاً على الانتظار هم ثلاث سنوات سيمرون على أي حال

يقوم من مرقده يخرج من حجرته يرى امه في الصالة تصلى يجلس بجوارها ينتظر انتهائها من الصلاة

يتذكر الايام التي جاء فيها ليسكن في هذا البيت عندما جاء صغيراً من قريته مع عائلته عندما سأل امه إلى أين سنذهب قالت إلى مصر...لماذا.. ظروف عمل أبوك هكذا هجر وترك قريته التي شهدت ميلاده ليأتي ويسكن في القاهرة

يتذكر اختيار أبوه لهذا البيت وحرصه الشديد على أن يكون البيت قريبا من مسجد الامام الحسين

أبوه رجل تقى يحب الله ورسوله ويحب ال بيت رسول الله.. ولذلك كان حريصاً على اختيار هذه الشقة القريبة من مسجد الإمام الشهيد أن يكون جار لمن جده خير الانام وخاتم المرسلين من شرفات البيت يستطيع رؤية مئذنة المسجد وهذا يكفى

كم عام مر على وجوده هنا لا يتذكر ولكنه كان صغيراً

ينظر إلى امه وقد انتهت من الصلاة يقبل يدها في حنان صادق تدعو الله أن يوفقه ويعينه فيما هو قادم عليه

يقول لامه أنه ذاهب لصلاة الجمعة بعدما أرتدى الجلباب الابيض الذى اشتراه له ابوه من عمرته الاخيرة

يدخل من باب المسجد ...أول مرة دخل وجاء الى هنا... كم كان عمره لا يتذكر ولكن ابوه كان معه كان يمسك يده... سأل ابوه في أي مكان نحن قال له عند ابن رسول الله لم يفهم شيء كان عمره صغير.. ولكنه نشأ على حب وطاعة الله ورسوله وحب ال بيت النبي المصطفى

يتوضأ يصلى ركعتين يطول السجود يدعو الله أن يوفقه في كل ما هو أت... الرهبة من المجهول لا تزال بداخله

السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم يا ال بيت المصطفى السلام عليك يا سيد شباب اهل الجنة هكذا علمه ابوه أن يقول عند دخوله المقام

يقف ويقرأ الفاتحة ينظر إلى أعلى حيث تجويف القبة المزخرف والرسومات والكلمات المكتوبة على الحائط (هذا المقام كعبة مصر) هكذا كتب أعلى المقام

يخلص في الدعاء من قلبه... يدعو الله من هذا المكان المبارك الذى يحمل رأس رأت النبي وراها وقبلها النبي وداعبها يدعو الله أن يوفقه فيما كتبه وقدره له وأن يبعد عنه الشر الذى وضعه لاختباره

هو لم يكمل تعليمه بسبب ظروف كثيرة اضطرته لترك التعليم ولكنه قرأ العديد من الكتب التي تتحدث عن الإمام الشهيد

عن حياة ومولد الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله

طبقة وغشاء من الدموع تكسو وتتجمع في عينيه كلما تذكر حادثة كربلاء تنهمر الدموع حارة من عينيه ... كأنه يرى المشهد أمام عينيه ... اه لو كنت حاضراً وقت الحادثة لقطعت وهلكت هلاكاً وتمزقت أحشائي تمزيقا في سبيل من كان جده محمد صلى الله عليه وسلم لكنت صرخت في شتى الأرجاء حتى يذهب صوتي يا امة الاسلام يا امة محمد هذا ابن بنت نبيكم هذا حفيد رسول الله وخاتم المرسلين كيف تخذلوه ولماذا وأي شيء تنتظرون فلتنصرن الحق على الباطل كيف تصلون وتركعون وتقولون وتشهدون أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله وأنتم لا تكترثون بقتل حفيده كنت أتمنى أن تنصرن

الحق على الباطل ولكنكم جعلتم الباطل ينتصر كنتوا سبب في أن ينتصر الشر على الخير .... فضلتم الحياة والرخاء عن الجنة التي ينعم بها كل من روت دماءه رمال كربلاء, سأتمنى الشهادة بنفس راضية فلأدعو الله أن يجعلني مع الشهداء لكى أكن مع الحسين وجده ومن وقفوا بجواره سأقول لهم إنني لو كنت معهم لحربت حتى آخر نقطة دم في عروقي ... هكذا تمنى وتذكر وفاضت روحه فبكى وهو يقف أمام المقام

خرج من المسجد بعدما صلى ركعتي الجمعة وأستمع إلى الخطبة يسير بجوار سور المسجد حيث خان جعفر يميل يميناً يسير حتى يعبر بوابة بيت القاضي يذهب إلى حارة الخرنفش حيث بيت خطيبته كانت تنظر من شباك البيت منتظرة مجيئه نزلت سريعا تصافحه وعلى وجهها بسمة تساله لماذا تأخرت... الجامع كان زحمة يسيرون متجاورين معاً يجلسون أمام مسجد الظاهر برقوق تحت السبيل ينظر إلى وجهها ملامحها هادئة عينها جميلة صافية محجبة قال لها إن كل ما في الموضوع ثلاث سنوات سيمرون بسرعة وسيعود ليتزوجها يرسمون شكل بيتهم واحلامهم معاً في وجدانهم وفى عقلهم سيكون بيت جميل... وأنا في انتظارك يا سي حسين هكذا قالت برقة وخجل وعلى وجهها رسمت ابتسامة صافية

حسين هكذا سماه ابوه حباً في حفيد المصطفى حسين الاسم الذى اختاره نبي الله الذى لا ينطق عن الهوى ليكون إسم حفيده

زينب هكذا نطق اسمها وهو يمسك يدها في حب قال لها أنه يحبها حباً ليس له مثيل في هذه الدنيا فهي المهذبة الهادئة الجميلة رقيقة القلب والمشاعر

عندما رأت امه خطيبته لأول مرة قالت لها امه إنها ستكون ابنتها فالله لم يرزقها ببنات

يوصلها الى باب البيت يصافحها في وداع ينظر في عينيها طويلاً يكاد يرى طبقة من الدموع تكسو عينيها يربط على يدها في حنان ثم يعود متوجهاً إلى بيته

في صباح اليوم التالي استيقظ مبكراً رأى امه بعد أن إنتهت من تحضير الفطار يتناول الفطار سريعاً سيعاقب أشد عقاب إذا تأخر ... يقبل رأس امه يودع ابوه واخوه في حرارة ... ترفع امه صوتها بالدعاء

٢

جاءت فترة تجنيده على الحدود الجنوبية للبلاد... يحمد الله أنه بعيدا عن سيناء.. هو يتمنى لو مات شهيداً ... ولكن امه لم تتحمل ذلك فقلبها ضعيف لم يتحمل أي صدمات

ظروف بيته لا تسمح بان يموت هو أو اخيه, ابوه يجلس منذ فترة عن العمل بعد أن جاءته إصابة في عمله أخذت أصابع كفه الايمن حادثة ابوه كانت سببا في تركه للتعليم والبحث عن عمل

مرتب اخوه لن يكفى مصاريف البيت يجب عمل الاثنان معاً

و كيف سيكون حال امه المصابة بمرض في قلبها وتحتاج من العلاج ما تحتاج كيف سيكون حال التي تضع كل أمالها عليه تريد أن ترى حفيد لها وأن ترى أحد ابنائها بجوار عروسته كما تصف

اخوه زاهد عن الزواج كلما فاتحه أحد أو طالبه بالزواج يرفض يقول إنه يحب الحرية ظل يردد هذه الجملة حتى أصبح في منتصف العقد الثالث

كانت فترة تجنيده هادئة تعرف على شاب إسمه محمود من الشرقية حياته كانت تشبهه كثيراً تعرف على بعض الجنود الذين جاءوا من محافظات ومن أراضي مختلفة

نزل أجازة مرتين قامت أمه باستقباله كأنه غريب عن البيت وأهله أحضرت له كل ما يحب من طعام حكى لامه عن الصعاب و الظروف التي يوجهها قالت له هكذا ينشأ ويصنع الرجال قابل حبيبته في نفس المكان جلسوا تحت السبيل تهامسوا وتلامسوا في حب صادق وحنان وتودد ذهب إلى حبيبه وحبيب المصطفى والمسلمين أجمعين دعا الله أن يعينه في كل ما كتبه وأن يبعد عنه كل ما يراه شراً

٣

يجلس فوق الهضبة التي جاءت فترة تجنيده عليها

على النور المنبعث من المصباح لا يرى شيء أمامه سوى الخلاء المترامي والظلام ولا يسمع سوى الصمت الجو هادئ وجميل به لسعة برد يحاول كسر

الصمت الرهيب الذى يحوطه ويسيطر على كل ما حوله يتلو بعض الابتهالات والتواشيح التي يحفظها للشيخ النقشبندى في صوت مرتفع قليلاً يغنى بعض أغاني أم كلثوم التي يعشق صوتها يتذكر حبيبته عند جملة فيكررها مرات ومرات الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره وإنت وأنا يا حبيبي أنا يغنى ويكرر الجملة يشعر بصوته جميلاً هكذا يظن

يتوقف فجأة عن الغناء يسمع صوت أقدام تضرب الأرض تتوقف صوت الأقدام يسمع صوت ضحكات مجلجلة وحديث بين شخصين

لا يرى شيء يحاول أن يسمع ما يقال ولكنه يفشل

على الضوء الضعيف يرى أشخاص قادمون يسمع صوت أقدام تدنو منه يحاولون تسلق المكان الذى يجلس فوقه

الصوت يتضح له ولكنه لا يفهم شيء فهم يتحدثون بلغة اجنبية بالتأكيد لا يعلمها

عندما اقتربوا منه تبينهم خمس أشخاص ثلاث فتيات وشابين ينظر إلى ما يحملون في ايديهم يستعيذ بالله إنها زجاجات خمر

يردد الكلمة الاجنبية الوحيدة التي يعرفها نو... نو يشير إليهم بأن يبتعدوا ولكنهم يقتربون أكثر في لامبالاة يشير إليهم مرة أخرى أن يبتعدوا ولكنهم لا يكترثون يشم رائحة الخمر يذكر الله كثيراً في سره

يشيرون وينظرون إليه ثم يضحكون إذا صرخ لم يسمعه أحد في هذا الخلاء

لا يدرى أي شيء يفعل هم لم يعتدوا عليه ولا يعلم أي شيء جاءوا به إلى هنا لعلهم تائهين في الصحراء جاءوا طالبين المساعدة كيف سيفهم لغتهم يدعو الله أن يعينه وينجيه

واحدة من النساء تقترب منه تبدأ في خلع ملابسها يدير وجهه ينظر إلى جهة أخرى عسى أن يأتي أحد ويخلصه يقبض على سلاحه يوجهه نحو الخلاء يطلق عدة طلقات عسى أن يخافوا أن يبتعدوا ولكن دون جدوى عسى أن يسمعه أحد وينقذه... ما من مجيب

تقف المرأة أمامه عارية لا ينظر إليها يتلو آية قرآنية في سره يسمع اصواتهم

وهم يضحكون ويستهزئون به أخرج شاب من حقيبته علم البلاد ووضعه تحت قدمه يدهسه دهساً

الدماء تجرى في عروقه من أي مكان سقط هؤلاء المخمرون عليه

تدنو العارية منه يشعر بأنفاسها ويشم رائحة الخمر فيستعيذ بالله تدور حوله تلمسه تداعب صدره تحاول خلع ما يرتديه عنه يقوم بابعادها يشعر بأنه سيأتي شيء فرياً

تقترب امرأة أخرى تقف وراءه في حركة سريعة وكأنها مضربة تقوم بشد ذراعيه إلى الخلف تكتفه تقترب منه العارية في خطوات ثابتة... يحاول أن يمسك بسلاحه الذى ربط على صدره أن يفتح النار عليهم بعد أن بدئوا بالاعتداء

لا يستطيع فالمرأة التي تقف خلفه تشد ذراعيه بقوة وبشدة يحاول أن يفك من يدها يضرب الأرض بقدميه إلى الخلف لكن دون جدوى

العارية تقترب منه تقف على بعد ذراع منه في ثبات وجمود تمد يدها وبسرعة تقبض على موضع ذكره يثور غاضباً ينتفض انتفاضاً كالثور الهائج الجريح يقف على قدم واحدة ويضربها في بطنها فتبتعد يشعر بضعف اليد التي تقبض عليه من الخلف يدور بسرعة وينزل على الارض فتسقط الواقفة من خلفه معه يمسك سلاحه يفتح النار على الرجال والنساء الواقفين أمامه يسقطون غرقى في دمائهم

٤

تحول للتحقيق جاء المحامون وبعض رجال الدولة التابعين للبلد التي ينتمى إليها من قتلهم الموقف يزداد سوءً المحامون يطالبون بإعدامه لأنه قتل مسالمين لم يعتدوا عليه قالوا إن العارية خلعت ملابسها لأنها طقوس يفعلها أهل بلدها حيث يذهبون الى الصحراء في هذا اليوم وتخلع ملابسها ويقوم اصدقائها بإلقاء الخمر عليها وأنها لم تعتدى عليه كما قال

يتبرع أكبر محامين البلد للدفاع عنه بعدما اشتهرت القضية على الشاشات والصحف وخرج الناس يطلبون براءته

أخبره المحامون إن الأدلة ضده فلا وجود لأثر واحد مما يحكى عنه لا وجود

للعلم الذى وضعوه أسفل اقدامهم أو بصمات لأحدٍ منهم على ملابسه ولكنهم سيحاولون مساعدته

في السجن يدعو الله أن يعينه ويصلح له أمره فهو العالم بما لا يعلمه أحد... تعاطف معه كل رجال الشرطة في السجن أصبحت القضية حديث الكل هناك من إتفق وهناك من إختلف ومنهم لا يكترث ويفضل عدم الإهتمام

في قاعة المحكمة التي امتلأت عن آخرها برجال القضاء والمحامين والصحفيين

يرى ابوه وامه واخوه وحبيبته من خلف القفص الحديدي هؤلاء من يعرفهم ويعرفوه عند دخوله للقاعة لم يستطع النظر في عين امه او حبيبته لا يتحدث لم ينطق سوى كلمة واحدة مظلوم

يدخل القاضي يبدو حزيناً يزداد القلق بداخله وهو خلف القضبان

بدأ القاضي بتلاوة اية من آيات الذكر الحكيم يقول أنه بعد الإطلاع على الأوراق والمستندات وهذه الكلمات المحفوظة

يدعو الله ان ينجيه أن ينقذه فهو الواحد الذى يعلم الحق الذى لا يعلمه أحد يلتفت إلى القاضي وهو يقول الحكم

على المتهم حسين مصطفى محمد بالإعدام شنقاً تنهمر دموع كل من في القاعة عدا الأجانب امه وحبيبته يولولن ويضربن صدورهن في مشهد تتقطع له القلوب تقطيعا

ها هو الباطل ينتصر على الحق مرة أخرى لم تكن هي الأولى ولم تكن الأخيرة

في الخارج يثور من تجمعوا أمام المحكمة في انتظار الحكم من آمنوا ببراءته يصيحون ويصرخون في عصبية و حرارة والدماء تغلى في صدورهم وهم يرددون هتافات تعارض الحكم وتطالب بالبراءة يرسمون صورته على الحوائط وفى الميادين قالوا إنه سيظل في القلب ولم يُنسَ أبداً سيحتسبونه شهيداً لأنه دافع عن تراب الوطن وسيحكون لأولادهم عن رفضه لكل ما هو حرام حتى يظل في القلوب... هكذا قالوا بحرارة... ولكنه سيُنسَ كأي شيء من قبله يرى كل شيء يمر من أمامه قصة حياته منذ مولده وخروجه من رحم امه عارياً صارخاً وحتى الأن يرى مراحل حياته طفولته البريئة وأيام شبابه التي لم تستمر طويلاً

يرى أمامه امه وحبيبته ابوه وهو يلوح له بيده التي فقدت صوابعها اخوه فهذه هي اسرته التي عاش معهم حتى كبر وأصبح رجلاً حبيبته التي كانت ستنجب له من الذرية الصالحة وستكون اماً لأولاده كيف حالها الان يشاهدها في غرفتها زاهدة عن الطعام والشراب هكذا كانت تفعل عند حزنها يرى امه وقد فقدت التحدث إثر الصدمة

ذهابه للحسين صغيراً مع والده وذهابه كبيراً وحيداً يتذكر كل شيء ويرى كل شيء من خلف حبل المشنقة يسمع السؤال التقليدي هل تريد شيء تطلب شيء لا يعلم بأي إجابة يجيب فالذي يريده ها هو يقترب منه ويتدنى منه دقائق معدودات وسيرى ما يريد ويفعل ما يريد ولكن في عالم آخر غير هذا العالم عالم كان يتمناه منذ زمن وطلبه وها هو يتدنى منه وقد حدث بعد أن كتبها...هو

يدخل ابوه وهو محنى الظهر من باب المسجد يتوضأ يصلى ركعتين يطلب من الله الرحمة والمغفرة لمن رحل وذهب يقترب من باب المقام الشريف السلام عليك يا رسول الله وعلى ال بيتك السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا شهيد يا سيد شباب أهل الجنة السلام عليك يا حسين

تمت

يوسف الشريف- الدرب الاحمر- اكتوبر ٢٠١٨

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail.com

Facebook .Com/Fasla .Pub